السبت 3 أيلول 2022
العدد 4717 السنة السابعة عشرة
Samedi 3 Septembre 2022 nº 4717 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

ليس لطه حسين أينَ يسند رأسه؟

إضراب «أوجيرو» يهزّ الشبكة: «لبنان خارج الخدمة» [4]

رئيس الحكومة يواصل المماطلة ويريد من طهران 8 ساعات تغذية

الفيول الإيراني: ميقاتي «شحاد ومشارط»! [5]

اطلب القوس مع الأخبار

اليونيفيل المهمة الجديدة شيطنة المقاومة

[2 ـ 3]

(أ ف ب)

البلاد

بريد الأسرى

ذكرى جلبوع «نفق الحرية» أشرف رجالاً وبنادق [12-13]

رائد السعدي
أمّي «مريم الفلسطينية» [14]

ماذا لو كنت حنظلة [15]

على الغلاف

الأمم المتحدة تصمت عن هجوم إسرائيلي على سفينة إندونيسية تابعة للقوات الدولية

التمديد لليونيفيل: المهمة الجديدة شيطنة المقاومة

فراس الشوفي، ميسم رزق

مرّ التجديد لقوات الطوارئ الدولية العاملة في الجنوب، اليونيفيل، هذا الأسبوع، من دون أي تعديلات جوهرية على مهمّة القوّة، ومع كثير من ترحيب بعض الدول الأعضاء في مجلس الأمن والأمم المتّحدة، وطبعاً من الحكومة اللبنانية ورئاسة الجمهورية.

ولأن أي تغيير جوهري في المهام، كما يرغب العدوّ الإسرائيلي والولايات المتحدة، يحتاج إجماعاً مفقوداً بفعل الموقفين الروسي والصيني، وغياب القرار الأوروبي بالمواجهة والمخاطرة بتحمل كلفة أي خطوات عدائية ضد المقاومة، تستمر محاولات استخدام الواقع في الجنوب في حملة تحريض دولية على المقاومة، بغية شيطنتها وتوظيف مهمة اليونيفيل إلى أقصى حد ممكن في المعركة الإسرائيلية - الأميركية، لكن من دون المخاطرة بمهمّة القوّة برمتها.

وقد بدا لافتاً ما ورد في قرار التجديد للقوّة لمدة سنة، الذي قدّمته فرنسا، والصادر عن مجلس الأمن الدولي تحت الرقم 2650، بالإضاءة وبإسهاب على مسألة «حريّة الحركة» للقوات الدولية على كامل «الخط الأزرق»، وعلى عدم إلزامية مواكبتها من قبل الجيش اللبناني. نص الفقرة 16 من القرار، في مطلع دفاعه عن «استقلالية» عمل اليونيفيل، يعيد التذكير بحوادث صدام مع الجنوبيين وقعت هذا العام وفي الأعوام السابقة، بعدما كانت مقدّمة القرار قد مرّت عليها، مطالبة باستكمال التحقيقات فيها والإشارة إلى الفاعلين ومعاقبتهم، وكذلك التذكير بالاعتداءات المسلحة التي طاولت اليونيفيل، والتي صدر عن المحكمة العسكرية قرارات بشأنها، كما ورد في تحقيقات الأجهزة الأمنية ضلوع جماعات ذات بعد تكفيري فيها.

ليس سرّاً، أن مهام اليونيفيل تزيد على 450 مهمّة عمل يومية في منطقة جنوب الليطاني، يشاركها الجيش باقل من 20% منها، لتقوم بالمهام الدورية الروتينية باستقلالية، لكن مع تنسيق للحركة مع قوات قطاع جنوب الليطاني في الجيش. لذلك، فإن الصدامات في القرى الجنوبية بين الأهالي والدوريات، في السنوات الماضية، معدودة على أصابع اليد، وقليلة جداً مقارنة مع عدد المهام التي تمرّ بهدوء تام، ما يؤكّد حرص المقاومة، قبل غيرها، على الاستقرار في الجنوب، وعلى غياب أي نوايا عدائية من الأهالي أو المزاج الشعبي للأمر، ودخلت على الخط من زاوية زيادة المبلغ الذي تقدمه القوات الدولية لدعم الجيش اللبناني تحت عنوان «مساعدة الجيش في تنفيذ مهامه ضمن منطقة عمل القرار 1701».

> تحدث تقرير غوتيريش عن 95 خرقاً لبنانياً للقرار 1701 بينها 90 حالة حيازة سلاح صيد

(أ ف ب)

موسكو تحبط مشروعاً فرنسياً للفتنة بين المقاومة والجيش

عبد الله قمح

الدور الفرنسي في قوات «اليونيفيل» العاملة في جنوب لبنان على درجة عالية من السوء. هذه باتت حقيقة، والدليل الأحدث على ذلك مجريات اجتماع غير رسمي عقد قبل أسبوعين في مقرّ الأمم المتحدة في نيويورك، على مستوى مندوبي الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن. تناول الاجتماع إدخال ما سُمّي «تعديلات تقنية ضرورية» على مشروع قانون التجديد للقوات الدولية عاماً إضافياً. ولم تكن هذه المرة الأولى التي يُطرح فيها إدخال تعديلات على برنامج عمل قوات «اليونيفيل» في الجنوب. إذ كانت واشنطن سبّاقةً إلى ذلك دائماً، إلا أن مشروع التمديد كان دائماً يقرّ من دون أيّ تعديلات تُذكر. غير أن باريس أثرت هذا العام التصدّي المحروقات والرواتب سيخلق فراغاً يقوم حزب الله بتغطيته لاحقاً، ما قد يخلق «عدم توازن». واستندوا في سوق تبريراتهم إلى ارتفاع منسوب المواجهات التي دارت هذا العام بين الجنوبيين وبعض دوريات «اليونيفيل» (التي تخرق بنود القرار 1701 لناحية تجوّلها في أماكن غير مشمولة بالقرار)، واتّهم المندوب الفرنسي حزب الله بالوقوف خلف هذه التحرّكات، إضافة إلى مزاعم عن نصب الحزب نقاطاً (هنغارات حديدية) على طول الحدود لمراقبة تحركات جيش العدو الإسرائيلي، وهذه «مسألة مرفوضة ومحلّ إدانة لأنها تُعرّض الخط الأزرق للخطر وتؤثر على حالة الاستقرار». مع الإشارة هنا الى أن العدو الإسرائيلي كان أول من أبدى انزعاجه من وجود مثل هذه النقاط.

وعلمت «الأخبار» أن المندوب الروسي رفض التبريرات الفرنسية. وقال دبلوماسي معني في بيروت لـ«الأخبار» إن المندوب اعتبر أن وضع الجيش اللبناني في مواجهة حزب الله في منطقة عمل قوات الطوارئ الدولية «هو ما قد يتسبّب في عدم الاستقرار، وقد يحوّل منطقة الحدود إلى منطقة ساخنة لا تخدم فكرة الهدوء». وفهم من الموقف الروسي أنه بمثابة رفض صريح لمشروع القرار المحتمل، مع تلويح باستخدام الفيتو فيما لو ذهبت فرنسا نحو ترجمة أفكارها عملياً في مشروع قرار، إذ إن موسكو ترفض إدخال تعديلات على أصل القرار التجديد. وبالفعل، اقتنع الفرنسيون بصعوبة الأمر، وتراجعوا عن إدخال تعديلات وبقي المبلغ المقدم إلى الجيش على 500 ألف دولار.

غير أن تمرير قرار التجديد تزامن مع محاولة تظهير الموقف الروسي كأنه يرفض دعم الجيش اللبناني. وتولت أطراف داخلية تسريبات توحي بأن موسكو تعمل على تبديل سياساتها تجاه بيروت، في محاولة لخلق شرخ بين الدولتين اللبنانية والروسية، وهو سياق يبدو أن أطرافاً في الداخل تنتهجه منذ بداية الحرب الروسية – الأوكرانية.

في هذا الوقت، لا تبدو المؤسسة العسكرية في وارد السير في طموحات المؤسسة السياسية الفرنسية أو تلبية طموحاتها في الجنوب، كما أنها لا تلحظ تغيّراً في سياسة التعاطي معها من قبل روسيا. وفي سياق تأكيدها على استقرار الجنوب، تُشدّد على رفضها لأيّ دعم مشروط يأتي من أي جهة ويحمل في طيّاته أهدافاً أخرى.

في الواجهة

«فزّاعة» حكومة سلام تدقّ أبواب حكومة ميقاتي

> تحولت تجربة حكومة الرئيس تمام سلام (2014 - 2016)، خصوصاً توليها صلاحيات رئيس الجمهورية بانتهاء ولاية الرئيس ميشال سليمان، «فزاعة» يدق أكثر من طرف نفير الخشية من تكرارها

نقولا ناصيف

مع ان الرئيس تمّام سلام طال تكليفه تأليف الحكومة اكثر من 10 اشهر، ولم يُتَح صدور مراسيمها الا في الاشهر الثلاثة الاخيرة في ولاية الرئيس السابق للجمهورية، الا انها تحوّلت الى أنموذج: لانها اولاً حكومة وحدة وطنية وإن بـ24 وزيراً، ولأنها لم تقتصر ثانياً على فريق واحد بزّرت مناكفاتها ونزاعاتها وانقساماتها، ولأنها ثالثاً رافقت - حتى الآن على الاقل - اطول شغور رئاسي خبره لبنان المستقل، ولأنها رابعاً ابتكرت بنفسها ولنفسها اجراءات مكّنتها من الاستمرار في الحكم مقدار ما استطاعت، ولأنها خامساً من جراء تجربتها تلك غدت اجراءاتها اقرب ما تكون الى اعراف وتقاليد صالحة للاقتداء بها ما دام لا نصّ في الدستور والقانون يرعاها.

احتاج سلام الى الاجراءات تلك، وكانت اقرب الى ترتيبات شفوية، على مضض من اجل امرار المرحلة الغامضة وتفادي انفجار حكومته من الداخل. مما فيها، وقد فُسّر بعضها خلافاً لما رمى اليه، ان امتناع مكوّنين اساسيين عن الموافقة على قرار يحمل مجلس الوزراء على صرف النظر عنه، كذلك الامر عند غيابهما، تفادياً للقول إن تغيّب طائفة يعطل القرارات. حافظت على القاعدة المنصوص عليها في المادة 65 من الدستور بافتتاح جلساتها بثلثي الاعضاء، وان غاب الوزراء الآخرون، وليس حتمياً ان يحضر الوزراء الـ24. غالبية قراراتها وقّعها الوزراء جميعاً، الا ان بينها ما لم يمهرها الوزراء الـ24، ولم تكن ثمة حاجة الى ان يفعلوا. ذلك كله لم يحل دون تعطيل جلساتها بسبب امتناع افرقاء عن الحضور من جراء عدم التوافق على قرار ما. لم تكن، منذ اتفاق الطائف، الحكومة الوحيدة التي حكمت البلاد وفق المادة 62 بانتهاء ولاية رئيس الجمهورية. سبقتها الى التجربة حكومة الرئيس فؤاد السنيورة بين 23 تشرين الثاني 2007 و25 ايار 2008.

في خطابه الاخير حذر رئيس مجلس النواب نبيه برّي من تكرار ما رافق حكومة سلام، في معرض رفضه توسيع حكومة تصريف الاعمال برئاسة الرئيس نجيب ميقاتي. أبرزَ رفضه انضمام ستة وزراء سياسيين اليها على نحو اقتراح رئيس الجمهورية ميشال عون، وذكّر بما شاع حينذاك والاجتهاد في تفسير المادة 62 متى تتولى حكومة صلاحيات رئيس الجمهورية، ان كل وزير فيها هو جزء من رئيس الجمهورية. الوزراء الـ24 جميعاً يصبحون، بجمع الاجزاء هذه، رئيس الجمهورية الشاغر المنصب. ذلك ما درجت عليه الخلافات في حكومة سلام، وراح كل وزير، في هذا الفريق او ذاك، كلما حرد او زعل، أشهر سيف المادة 62 على انه «شقفة» من رئيس، فلا يصدر مرسوم لا يوقعه هو.

عندما بدأت اولى ملامح الخلافات في حكومته، واجتماعاتها كمجلس وزراء حلت فيه صلاحيات رئيس الجمهورية، دعا سلام الى اجتماع مسائي في السرايا برئاسته، بعيد من الاضواء، ضم وزيرين في حكومته هذه هما بطرس حرب ورمزي جريج ووزيرين سابقين قاضيين هما جوزف شاوول وخالد قباني. اول المتحدثين في الاجتماع، كان حرب الذي فضّل الاصغاء الى قباني يروي تجربة حكومة السنيورة - وكان وزيراً فيها - في الشغور الذي تلى انتهاء ولاية الرئيس اميل لحود. جواب قباني ان التجربة تلك لا يُعوَّل عليها، كونها مثّلت فريقاً واحداً هو قوى 14 آذار بعد استقالة الوزراء الشيعة منها، ما لا يتيح قياس اجراءاتها الاستثنائية وطريقة ادارتها السلطة، مستقاة حينذاك من واقعها ذاك. ثالث المتحدثين شاوول - وزير العدل سابقاً ورئيس مجلس شورى الدولة قبلاً - كاشفاً ان لا حاجة الى الاجتهاد في تفسير صلاحيات مجلس وزراء متولٍ اختصاصات رئيس الجمهورية عملاً بالمادة 62.

أطلع شاوول الحاضرين على قرار لمجلس شورى الدولة، عندما كان لا يزال رئيسه، رقمه 74 صدر في 16 تشرين الثاني 1995 في مراجعة اللواء منير مرعي ضد الدولة اللبنانية (مجلس الوزراء ووزارة الدفاع)، طالباً ابطال قرار اتخذه مجلس الوزراء (حكومة الرئيس سليم الحص بعد اطاحة العماد ميشال عون) وما نجم عنه من قرارات ادارية من بينها مذكرة قائد الجيش العماد اميل لحود باخفاض رتبته من لواء الى عميد، واعادة الاعتبار الى الرتبة تلك التي حازها ابان وجود عون على رأس الحكومة العسكرية. في حصيلة قرار المجلس الذي اعده المقرر، وهو رئيسه، رد المراجعة.

> مجلس الوزراء يحل في كل صلاحيات رئيس الجمهورية ما ان يتولاها

تلك المراجعة، في اجتماع السرايا، شكلت قواعد متفقاً عليها على ادارة مجلس الوزراء صلاحيات رئيس الجمهورية. بيد ان الخلافات السياسية في مجلس الوزراء، معطوفة على حالات نزق وحرد وانفعال خرجت عليها. حيل دون التئام مجلس الوزراء، وصار الى تعطيل عمله بسبب رفض وزراء توقيع قراراته، راح حلفاء لهم يعضدونهم في الموقف السلبي هذا.

في ما خلص قرار مجلس الشورى:

1 - حلول حكومة في صلاحيات رئيس الجمهورية يمكّنها من ممارستها كاملة، على ان يوقع رئيس مجلس الوزراء والوزير المختص او الوزراء المختصون على المراسيم، دون سائر الوزراء غير المعنيين بها. بشغور الرئاسة الاولى، ولأن الحكومة حلت في صلاحياتها، فإن رئيسها هو الذي يوقّع نيابة عن رئيس الجمهورية ومعه الوزير او الوزراء المختصون.

2 - مجلس الوزراء وفق احكام المادة 62 ليس مدعواً الى ممارسة السلطة الاجرائية على نحو مستمر، بل الى ممارستها فترة قصيرة من الزمن لأن السلطة المنوطة به وكالة.

3 - يستفاد من احكام المادة 62، قبل تعديلها بالقانون الدستوري عام 1990 وبعده، ان «صلاحيات السلطة الاجرائية» او «صلاحيات رئيس الجمهورية» تمارس جماعياً من مجلس الوزراء. وفي استطاعة مجلس الوزراء المنوطة به السلطة الاجرائية او صلاحيات رئيس الجمهورية، بعد التعديل الدستوري، ان يمارس من دون اي قيد جميع الصلاحيات التي تمارسها دستورياً السلطة الاجرائية، اي رئيس الجمهورية.

4 - المراسيم التي تصدر عن مجلس الوزراء المنوطة به موقتاً صلاحيات السلطة الاجرائية او صلاحيات رئيس الجمهورية، يجب ان تصدر بعد موافقته، وان تحمل على الاقل اضافة الى توقيع رئيس مجلس الوزراء توقيع الوزير المختص او الوزراء المختصين، كما لو ان المرسوم صادر عن رئيس الجمهورية عملاً بصراحة احكام المادة 54 من الدستور. وان عبارة «موافقة مجلس الوزراء» كاحد الاصول الجوهرية التي يفرضها الدستور، لا تعفي مطلقاً من عدم تقيّد المرسوم بالاصول الجوهرية الاخرى التي يفرضها الدستور ايضاً بالنسبة الى كل مقررات رئيس الجمهورية، وبالاحرى المراسيم الصادرة عن مجلس الوزراء المنوطة به ممارسة السلطة الاجرائية.

5 - اعطى العلم والاجتهاد الوزير المختص التوقيع على اعتبار انه عندما يكون لرئيس مجلس الوزراء اي اختصاص في القرارات التي يتخذها رئيس الجمهورية - ام في هذه الحالة مجلس الوزراء مجتمعاً - فإن رئيس مجلس الوزراء بتوقيعه المألوف الاول بذيل عبارة «صدر عن رئيس الجمهورية» او «صدر عن مجلس الوزراء» في الحالة الحاضرة، يكون قد عرّف عن توقيع رئيس الجمهورية.

6 . توقيع المرسوم من الوزير المختص هو الطريقة الدستورية التي بموجبها يتولى ادارة مصالح الدولة وتطبيق الانظمة والقوانين في ادارته. توقيع الوزير المختص ليس أمراً شكلياً لازماً فحسب، بل هو من المقومات الجوهرية لتكوين المرسوم الصادر لتعلقه بالصلاحية.

(هيثم الموسوي)

تجاه القوّة الدولية.

مع ذلك، يأخذ تقرير الأمين العام للأمم المتّحدة أنطونيو غوتيريش الذي صدر منتصف الشهر الماضي، وقرار مجلس الأمن، بعداً دعائياً شرساً موجّهاً ضد نشاط المقاومة، سياسياً وميدانياً، وتساهلاً واضحاً مع العدو وخروقاته وسلوكياته.

يذكر التقرير، مثلاً، ادعاء وجود 95 حالة حمل سلاح غير مصرح بها جنوب الليطاني خلال الأشهر الأخيرة، مدّة خلاصة التقرير، في إشارة إلى خرق القرار 1701 من الجانب اللبناني 95 مرّة. وفي التفاصيل، يشير التقرير إلى أن تسعين من هذه الحالات تتعلق بحمل سلاح صيد، وخمس حالات حمل أسلحة حربية لم يتم التأكد منها حتى! ومن هذه الحالات، واحدة في بلدة شمع، حيث تتم الإشارة إلى رجل يحمل مسدساً على خاصرته، من دون توضيح هويّته وما إذا كان عنصراً أمنياً أو عسكرياً أو مدنياً يحوز ترخيصاً لحمل سلاح حربي.

أمّا الحادثة الأخطر، والتي بقيت طي الكتمان وقت حدوثها، هو ما قامت به بحريّة العدو تجاه سفينة تابعة للقوّة الدولية، واكتفى غوتيريش بذكر ذلك في تقريره كخرق أيضاً للقرار الدولي، وبذات الأهمية لحوادث حمل سلاح صيد!

يومي 6 و7 حزيران الماضي، حاصرت بحرية العدو سفينة إندونيسية تابعة للقوة الدولية، بواسطة ست طائرات حربية وبارجة ساعر 4,5 في اليوم الأول، ووجّهت نحوها إشعالات نارية انفجرت على مقربة منها وعرّضت جنودها للخطر، وشنت عليها إطباقاً رادارياً من أسلحة الطائرات والبارجة الحربية. ثمّ كرّرت في اليوم التالي عمليّة الحصار والإطباق الراداري من ذات طقم الأسلحة الجوية والبحرية، ما جعل السفينة هدفاً جاهزاً، بحيث كاد أي خطأ تقني يحوّل الحادثة إلى كارثة على اليونيفيل والأمم المتحدة والجنود الإندونيسيين.

رغم الحادث، لم يصدر أي بيان «شديد اللهجة» من قبل اليونيفيل، ولم تطالب القوى الدولية بمحاسبة إسرائيل على عدوانيتها تجاه الجنود الأمميين، بل لم تقم قيامة نائبة مدير المكتب الإعلامي لليونيفيل كاندبس أرديل كما تفعل أخيراً مع أي حادث بين القوة والأهالي في مواقف تصعيدية تسهم في زيادة التوتر.

ولعلّ الأخطر من ذلك، هو صمت اليونيفيل، والحكومة اللبنانية وأجهزتها، عن الخرق البري الكبير الذي قام به العدو على مدى أسابيع أخيراً، في بلدة الغجر المحتلّة، حيث أنشأ جداراً على طول القرية وأسياجاً تقنيّة وأسلاكاً شائكة على أراضٍ لبنانية محتلة باعتراف الأمم المتحدة وليس «متنازعاً عليها»، كما وضع بنية تحتية دفاعية في المنطقة. ولم يعر تقرير غوتيريش اهتماماً كبيراً للخرق، لكنّه نقل عن تقرير ممثله الخاص في لبنان أن «أعمال التغيير الهندسي غير مقبولة في أرض محتلة، وتعدّ خرقاً لـ 1701».

وحتى الآن، لم تتحرك اليونيفيل نحو أي إجراءات عملية لمعالجة هذا الخرق، تماماً كالصمت عن الخرق المستمر في منطقة رأس الناقورة وفي نفق سكّة الحديد الذي يسيطر عليه العدو الإسرائيلي وتستخدمه قواته في انتهاك فادح للسيادة اللبنانية وللقرار 1701. وتستمر المهانة الوطنية أيضاً، في صمت الحكومة واليونيفيل، عن منع الجيش والأجهزة الأمنية والجمارك من الاقتراب إلى أقل من 150 متراً من هذه المنطقة الحيوية التي يتمسك بها العدوّ لأهميتها الميدانية الاستراتيجية في الجانب العسكري والسياسي، وفي التأثير بالحدود البحرية.

بينما لم يغب عن بال التقرير والقرار الدولي، التذكير بالاتفاق التي تنسبها اليونيفيل والعدو للمقاومة على الحدود مع فلسطين المحتلة، والسماح لليونيفيل بالدخول إليها! من هنا، تبدو الحملة في نيويورك دعائية هذا العام، وهدفها الشيطنة والتأسيس لاشتباك بين القوة الدولية والمقاومة، أو دفع الجيش اللبناني للقيام بهذا الدور، من خلال التشديد على ضرورة رفع عديد قواته في الجنوب وإنجاز تشكيل ما يسمّى بالفوج النموذجي، ليقوم بمهام التحقق والسيطرة في الجنوب، في استغلال لواقع الجيش المادي الصعب واستثمار عملية الدعم الشهري بالوقود والمحروقات والطبابة لقوات قيادة جنوب الليطاني التي تعتمد بشكل كبير على الدعم الدولي.

فهي من خلال هذه البروباغندا، تصوّب على ما يزعج العدوّ الإسرائيلي، الذي خاض معركة 2006 تحت عنوان إبعاد المقاومة عن الحدود وضرب قوتها الصاروخية، ثم ما لبثت أن ظهرت على مسافة صفر في مناطق وبقع يعتبرها العدوّ مناطق انطلاق ونقاط مراقبة على الحدود، أو ما يتم الحديث عنه أخيراً عن أربعة حقول رماية في جنوب الليطاني، تقول اليونيفيل إنها كشفتها بالاستطلاع الجوي.

في الأشهر الأخيرة، وعلى خلفية التوتّر بشأن الحدود البحريّة، يخشى جيش العدو سلسلة إجراءات عسكرية قامت بها المقاومة في الجنوب، على مستوى البحر والبر والجّو، ويذكر العدوّ واليونيفيل منها 15 «كونتينر» على طول الحدود، في بقع تحتاج اليونيفيل أذونات للدخول إليها بوصفها أراضي خاصة.

ويأتي الضغط على القوة الدولية وعلى الأمم المتحدة، لدفع اليونيفيل إلى التحرك نحو هذه المنشآت، أو على الأقل وضع القبعات الزرق في مواجهة المقاومة وتحميلها مسؤولية خرق القرار الدولي أمام القوى الدولية إعلامياً، كما يستفيد من بعض كتائبها وأفرادها ميدانياً واستخباراتياً، مع طرح نقاش مستقبلي حول «نقل مهام القوّة من تحت الفصل السادس إلى تحت الفصل السابع».

ولا تكتفي الحملة باستهداف المقاومة مباشرةً، إنّما أيضاً في إسكات الأصوات التي تنتقد وتكشف الجانب الآخر من الصورة وما تخفيه بروباغندا تبرئة إسرائيل وتجريم المقاومة. فتحفل فقرات التقرير والقرار بحرية اليونيفيل في مواجهة ما يسمى «المعلومات المغلوطة والمعلومات الملفقة والتحريض على اليونيفيل»، من دون تفاصيل كافية لتوضيح ما يمكن اعتباره نقداً وحرية للتعبير والصحافة، وما يمكن الإشارة إليه بالتحريض، وأساليب القوات الدولية في مواجهته!

تينتي: ما على اليونيفيل إلّا التنسيق مع الجيش

يشيد الناطق الرسمي باسم القوات الدولية أندريا تينتي بقرار التجديد للقوة وبأهمية دورها في الجنوب كقوة حفظ سلام والتأكد من تنفيذ 1701. يرفض تينتي المقارنة بين خروقات القرار الدولي، مهما كان حجمها، في الإشارة إلى حادثة السفينة الإندونيسية وحوادث حمل أسلحة الصيد ورد فعل اليونيفيل. بالنسبة إليه كلها «خروقات مسجّلة ومؤثرة»! ويعيد التأكيد على حق اليونيفيل في حريّة الحركة والتنقل والوصول إلى كامل النقاط على الخط الأزرق وفي منطقة جنوب الليطاني. ويشير الناطق الرسمي إلى أن ما ورد في القرار الدولي 2650، باعتباره أمراً طبيعياً، وأن اليونيفيل تنسّق مع الجيش.

قضية اليوم

إضراب «أوجيرو» يهزّ الشبكة: استجداء ترقيع الأجور

محمد وهبة

لليوم الرابع، واصل موظفو «أوجيرو» إضرابهم الذي أدّى إلى تعطيل أكثر من 4 سنترالات أساسية في بيروت تحتاج إلى الكهرباء والصيانة وتخدم أكثر من 100 ألف مشترك. «المشترك رهينة والمطالب محقّة»، هكذا علّق رئيس مجلس إدارة هيئة أوجيرو عماد كريدية، كأنه لا يريد الانفصال عن طبقة السلطة، فيما هو من موظفي الإدارة الذين لحق بهم أذى كبير بعد تدهور دخله من 20 ألف دولار شهرياً إلى 900 دولار. وهو موقف مغاير لموقف المديرين العامين في الإدارة العامة الذين عقدوا سلسلة اجتماعات قادتها رئيسة مجلس الخدمة المدنية نسرين مشموشي، بالتنسيق مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي، لسحق الإضراب المفتوح الذي نُفّذ قبل أسابيع مقابل «بدل إنتاجية» بخس، وتحذير من لا يقبل به بالطرد. المديرون العامون أسقطوا الإضراب في مواجهة «شبه النقابة» في رابطة موظفي الإدارة العامة، ليس لأنهم أكثر ذكاء، وإنما لقدرتهم الأكبر على التذلّل لزعماء طوائفهم ولاسترضاء ميقاتي.

تجربة الإضراب المفتوح بحدّ ذاتها تعدّ إشكالية. كيف يمكن لأي جهة أن تنفذ إضراباً مفتوحاً تكون تداعياته مؤذية للمجتمع والاقتصاد وتعطيل مصالح الناس؟ ثمة كثير من الضرر الذي يخلّفه إضراب ليوم واحد، فكيف عندما يفتح الإضراب على مصراعيه؟ لا إجابة «حيادية» في هذا المجال على طريقة كريدية. ولا تذلل واسترضاء على طريقة مديري الإدارة العامة، بل المسألة واضحة للعيان: الأذى الذي لحق بالمجتمع بسبب إدارة الأزمة كان أكبر على العاملين في القطاع العام لأن مسار تصحيح مداخيلهم بيروقراطي ومرتبط بالخزينة العامة، حيث بنى أركان السياسة شبكة قويّة من المصالح تتيح لهم الاستمرار في الحكم.

في الواقع، لا حاجة لبحث طويل لاكتشاف ما حصل في السنوات الثلاث الأخيرة. فقد عملت قوى السلطة على خطّين: تهدئة الوضع الناشئ عن إفلاس المصارف، وإعادة تفعيل قنوات التوزيع. أنيطت هذه المهمّة بحاكم مصرف لبنان رياض سلامة. قوى السلطة اجتمعت وراءه لتقول: سنواصل دعم أسعار السلع الأساسية مثل البنزين والمازوت والحليب والأدوية وسواها. في الشق الأول، صدرت تعاميم تقلّص القيود الصارمة على عمليات السحب والتحويل التي فرضت في الأشهر الأولى للأزمة. فجأة، بدأت المصارف تسدّد 400 دولار نقداً لكل حامل وديعة، وفجأة أيضاً ظهرت منصّة «صيرفة» ثم منح الأفراد «ترخيصاً» بالعمل كمضاربين ضمن سقوف محدّدة مثل بيع الدولارات في السوق وشراء دولارات مقابل الليرات التي معهم على سعر «صيرفة» لتحقيق أرباح خيالية بلا سقوف. أما سحب الرواتب للعاملين في القطاع العام فقد كان متاحاً بالدولار النقدي على سعر «صيرفة» وتحويله إلى ليرات في السوق الحرّة لتحقيق أرباح. ثم حدّدت سقوف لهذه العمليات ما زالت قائمة لغاية اليوم بقيمة 500 دولار للأفراد. لكن في هذا الوقت، كانت السلطة قد قرّرت التخلّي عن دعم المازوت، وتخلّت أيضاً عن تمويل شراء الفيول لزوم تشغيل معامل الكهرباء. وافق الناس، ولو بتململ، على كل هذه الإجراءات طالما أنهم أصبحوا صرافين مجبورين على العمل في الإطار الذي رسمه حاكم مصرف لبنان.

عملياً، لم يكن هناك أي داع لفرض سطوة سلامة على النقابات. فالسلطة قامت بشغلها في هذا الإطار منذ زمن بعيد، وحوّلت النقابات والنقباء، سواء النقابات العمالية، أو نقابات المهن الحرّة إلى دمى في خدمتها. لذا، لم يتعامل أي من هذه القوى مع أهداف إدارة الأزمة الرامية إلى تحميل المجتمع خسائر ضخمة تموّل استمرارية قوى السلطة. وهذه الخسائر لا تتعلق بإضراب له تبعات ونتائج، بل بالواقع الجديد الذي خلقته قوى السلطة وفرضته على المجتمع. فمنذ أكثر من سنتين، يصعب الحصول على الخدمة الطبية بسبب الأكلاف الباهظة. ولا يمكن الاستغناء عن السيارة رغم كلفة البنزين الهائلة بسبب عدم وجود نقل عام مشترك. ولا يمكن الاستغناء عن مولّدات الأحياء لأن السلطة قرّرت أن تلغي خدمة الكهرباء من الوجود. إذاً، ما المانع من أن يقوم بعض الموظفين في «أوجيرو» بإلغاء قسم من قطاع الاتصالات ردّاً على استهزاء السلطة بالمقيمين على أراضيها؟ هؤلاء يضربون من أجل معاملتهم بالمثل مع موظفي الإدارة العامة، أي الحصول على بدل نقل بقيمة 95 ألف ليرة يومياً، وبدل إنتاجية، ومساعدة اجتماعية... هؤلاء ليس لديهم طموح بإصلاح السلطة وإقالة مديرها التنفيذي رياض سلامة، بل يريدون منها ومنه، أن يمنّوا عليهم بـ«ترقيع الأجور» الذي منحته لموظفي الإدارة العامة وللعاملين في القطاع الخاص.

الاتصالات والإنترنت.. باي باي!

(هيثم الموسوي)

لينا فخر الدين

الكارثة آتية. إذا لم تعالج مشكلة توفير المازوت والصيانة وأكلاف التراخيص العالمية، فضلاً عن تحسين رواتب الموظفين في أوجيرو، فإنه خلال وقت قريب لن يتمكّن معظم القاطنين على الأراضي اللبنانيّة من إجراء الاتصالات الأرضيّة والخلويّة ولا حتى الولوج إلى شبكة الإنترنت أو استخدام التطبيقات على الهواتف والحواسيب. هذا ليس ضرباً من الخيال ولا مبالغة. فالمشكلة متشعبة بين تأمين الكهرباء والدفع بالدولار مقابل التراخيص العالمية وارتفاع أسعار المحروقات... كلّ هذا يشي بأن الدولة المفلسة لن تكون قادرة أصلاً على تأمين الأكلاف التشغيليّة لتسيير أعمال «أوجيرو»، فضلاً عن تلبية مطالب الموظفين بزيادة رواتبهم.

هذا كلّه فنّده المدير العام لـ«أوجيرو» عماد كريديّة في كتاب موجّه إلى وزير الاتصالات جوني قرم في 28 آب الماضي، بعد توجيه أكثر من كتاب إلى رئيس الحكومة ووزيرَي الاتصالات والمالية وكلّ الأجهزة الرقابية من دون أن يحرّك أحد ساكناً. خلاصة الكتاب أنّه يتعذّر على الهيئة القيام بالتشغيل والصيانة لتسيير هذا المرفق.

أولى الأزمات التي تُعانيها الهيئة هي عدم تغذية المقسّمات الهاتفيّة بالتيار الكهربائي العام من مؤسسة كهرباء لبنان واضطرارها إلى تأمين التيار بواسطة مجموعات الإغاثة الاحتياطيّة، لكن هذا الإجراء يستدعي صرف مبالغ طائلة لشراء المازوت والزيوت والفلاتر والبطاريات لاستمرار تشغيل هذه المقسّمات بالحد الأدنى. ويفوق عدد مجموعة الإغاثة هذه الـ 700 بقدرات تتراوح بين 35 و500 KVA في مراكز هاتفيّة يفوق عددها 330 مركزاً تعمل 24/24، ما يؤدي إلى تلفها لعدم توفر العناصر البشريّة لمواكبة أعمال صيانتها، خصوصاً أن هذه الأعمال خارجة عن نطاق عمل الهيئة كمنتج للتيار الكهربائي.

وما يزيد الوضع صعوبة هو ضرورة تسديد الهيئة مبالغ مالية بالدولار مقابل التراخيص العالمية لتشغيل الحواسيب والبوابات الدوليّة للإنترنت وكل التجهيزات التي تشكّل العمود الفقري لهذا القطاع، إضافة إلى المؤازرة الفنيّة وصيانة الكوابل البحريّة واستئجار السعات الدوليّة لربط لبنان بالخارج.

في مقابل هذه الأكلاف، فإن عقد الصيانة والتشغيل الأخير الموقّع مع وزارة الاتصالات - المديريّة العامة للاستثمار والصيانة كان بقيمة 48,3 مليار ليرة لا تكفي لتشغيل مجموعات الإغاثة الاحتياطية إلا لأيّام معدودة. لذلك، عمدت «أوجيرو» الى طلب سلفات خزينة لعدم صدور الموازنة العامة لعام 2022 وعدم تنظيم عقد اتفاق جديد مع الوزارة. وطلب كريديّة في كتابه الذي هدف إلى «رفع المسؤولية عنا نظراً إلى التداعيات الكارثيّة» تنظيم عقد الصيانة والتشغيل للعام 2022

> **الدولة المفلسة لن تكون قادرة على تأمين التكاليف التشغيليّة لتسيير أعمال «أوجيرو» وتحسين أجور الموظفين**

وتأمين الاعتمادات على القاعدة الاثني عشرية، ووضع لجنة الإعلام والاتصالات في صورة ما يعانيه القطاع، والعمل مع مؤسسة الكهرباء لتأمين التيار الكهربائي العام للمراكز الهاتفيّة الرئيسيّة: رأس بيروت، رأس النبع، الأشرفيّة، نهر بيروت، الجديْدة، ميناء الحصن، العدليّة وبدارو.

والمشكلة نفسها تنسحب على آلاف الموظفين الذين ينفّذون إضراباً مفتوحاً منذ أربعة أيام للمطالبة بتحسين رواتبهم التي تآكلت بفعل التضخّم. وقد أدّى الإضراب إلى التوقف عن تنفيذ أعمال الصيانة والتشغيل في كل مراكز الهيئة على الأراضي اللبنانيّة إلى حين تصحيح أجورهم، ما أدّى إلى خروج سنترالات الأشرفية، الحمرا، رأس النبع، الشياح، نهر بيروت، عن الخدمة بشكل شبه كامل، باستثناء ما تغذّى بالتيار الكهربائي الرسمي. هذا التوقّف يعني خروج 100 ألف مشترك بين أفراد ومؤسسات عن الشبكة، وعدم تمكّنهم من إجراء الاتصالات الهاتفيّة أو الاتصال عبر الإنترنت، فضلاً عن زيادة الضغوط على سنترالات أخرى. وما يزيد الوضع كارثيّة أن هذه المراكز ليست محصورة بعمل «أوجيرو» وحسب، وإنّما بعضها سنترالات مشتركة بين الهيئة و«تاتش» و«ألفا»، ما يعني فعلياً إمكانية توقّف الاتصالات الأرضيّة والخلويّة والإنترنت في معظم المناطق اللبنانيّة. طبعاً، بيروت ستكون أول الغيث، إذ إنّ الأمر سيتعدّى العاصمة بعد تردّد معلومات عن إمكانيّة خروج قريب لمركز صيدا أيضاً عن العمل، رغم تدخّل النائبة بهية الحريري من أجل تشغيله، لتتبعها المراكز الأخرى على التوالي.

المطالب أقلّ من الحقوق: بدل النقل والمساعدة الاجتماعية وبدل الإنتاجية

ندى أيوب

قد تكون عبارة «خروج لبنان عن الخدمة» هي الأدقّ لتوصيف المرحلة الراهنة، لا على خلفية إضراب موظفي «أوجيرو» وحسب، وإنما بالنظر إلى فقدان القدرة على ممارسة الحياة بطبيعتها على وقع تهاوي القطاعات الواحد تلو الآخر، وليس آخرها قطاع الاتصالات. سقوط مراكز خدمات «أوجيرو» تباعاً يدقّ جرس إنذار بأن البلد سيكون أمام شلل في التواصل المالي والتجاري محلياً ومع الخارج. هذا الواقع وحساسية الدور الذي تقوم به «أوجيرو»، وتأثيره على مختلف القطاعات، تدركه السلطة السياسية التي استنفرت بوجه الموظفين بداية. بصفته وزير الوصاية على «أوجيرو»، يؤدي وزير الاتصالات جوني القرم دور الوسيط بين الموظفين ورئيس الحكومة نجيب ميقاتي. أول من أمس، بعد اجتماع صاخب مع الموظفين، نقل القرم مطالبهم إلى ميقاتي، وهم يطالبون هذا الأخير بتوقيع وإصدار أربعة مراسيم متعلقة بتطبيق مراسيم بدل النقل والمساعدة الاجتماعية وبدل الإنتاجية اليومي وغلاء المعيشة. ففي أواخر تموز الماضي، أقرّت اللجنة التي كانت تتابع إضراب موظفي القطاع العام، الذي دام لأكثر من شهر ونصف شهر، مجموعة مساعدات مالية ترقيعية للضغط على الموظفين لفك إضرابهم أو التعرض لإجراءات تأديبية. على إثرها، وقّع رئيس الجمهورية ميشال عون ثلاثة مراسيم، الأول قضى بتعديل بدل النقل للعاملين في القطاع العام بكل مسمياتهم من 65 ألف ليرة ليصبح 95 ألفاً عن كل يوم عمل فعلي. والثاني قضى بإعطائهم تعويض إنتاجية يتراوح حسب درجة الموظف بين 150 ألفاً و350 ألف ليرة عن كل يوم حضور إلى العمل. والثالث سمح للعاملين بالحصول على مساعدة اجتماعية موقتة تعادل راتباً شهرياً، على ألّا تقلّ قيمتها عن مليونَي ليرة ولا تزيد على 6 ملايين، وذلك لمدة عام. وقبلها كان قد صدر مرسوم غلاء المعيشة في أواخر أيار الذي ينص على زيادة الأجور على الشكل الآتي: للأجر الشهري الذي لا يتجاوز 4 ملايين، 1325000 ليرة. للأجر اليومي الذي لا يتجاوز 182 ألفاً 61000 ليرة. أما إذا تجاوز الأجر الشهري 4 ملايين أو اليومي 182 ألفاً، فتترك الزيادة لاتفاق الأجير وصاحب العمل.

لم يحصل موظفو «أوجيرو» على ما نصّت عليه المراسيم. ووفق نقيبهم إيلي زيتوني فإن «الموظفين يتقاضون 65 ألفاً بدل نقل، ولم يحصلوا في نهاية شهر آب كما كان مقرراً على تعويض الإنتاجية. أما المساعدة الاجتماعية فلا تزال تصرف وفق المرسوم القديم التي حددها بحد أدنى مليون ونصف مليون وحد أقصى بـ 3 ملايين. كذلك لم يتقاضوا بدل غلاء معيشة».

ورغم ذلك، قذف موظفو أوجيرو بإشاعات عن طمعهم، علماً بأن النقابة لم تتطرق إلى زيادة في الرواتب. من جهته، يتحدث القرم لـ«الأخبار» بإيجابية عن أن «صرف المساعدات قد يحصل في غضون أسبوع»، مستنداً في ذلك إلى «اتصال أجراه ميقاتي بوزير المال يوسف الخليل، وأخذ موافقته على الصرف». لكن هذا التعديل في الإنفاق سيرفع اعتمادات «أوجيرو» من 351 مليار ليرة إلى 554 ملياراً، أي بحدود الـ 200 مليار، ما يعيد البحث إلى مشكلة الخزينة الكامنة في التمويل، ويعيد طرح مسألة مصادر التمويل غير المتوافرة، والتي شكّلت سبباً أساسياً لعدم دفع المساعدات كما يفترض في الفترة الماضية، إذ صُرفت قيمتها لبعض الإدارات دون أخرى وبنسب مختلفة. في هذا الصدد، يشير القرم إلى أن «الخليل سيعرض يوم الاثنين على الحكومة دراسة طلبها منه ميقاتي، حول خطته لتأمين الإيرادات». موافقة الخليل تطال 3 مراسيم، بدل النقل والمساعدة الاجتماعية وتعويض الإنتاجية، ليبقى مرسوم غلاء المعيشة مدار خلاف بين القرم والموظفين. الوزير يرى أن هناك إشكالية قانونية في تطبيقها، وسيطلب رأي هيئة الاستشارات والتشريع في وزارة العدل، فيما الموظفون يصرّون على أنهم يستحقونها.

من المرتقب إذاً أن يكون الأسبوع المقبل حاسماً في قضية إضراب «أوجيرو»، إلا إذا تهاون ميقاتي والخليل في تقدير تداعياته على البلد ككل، وتناسيا أن قطاع الاتصالات اليوم في عصر العولمة الكاملة يصحّ وصفه بشريان الكون. وبالفعل، بدأت الأصوات تعلو من أكثر من طرف وجهة، مطالبة بالتدخل العاجل لارتباط الشبكة بتسيير مختلف الأعمال في القطاعين العام والخاص، وتأثيرها على شركات الخدمات على أنواعها التي هي في تواصل مستمر مع الزبائن، كذلك على المستشفيات ونشاط الصليب الأحمر الخ... صرخات التململ تلك، رأى فيها زيتوني «برهان لقيمة قطاع الاتصالات، وعمل أوجيرو الذي لم يتوقف لا في ثورة ولا في حرب ولا في ظروف اقتصادية رديئة، وهي الشريان الحيوي الذي يربط لبنان بعضه ببعض وبالخارج». المقاربة من منظار الموظفين مختلفة، يدافع عنها نقيبهم بسؤاله «كيف يمكن أن نحمل وزر الدولة كلها، باقتصادها ومؤسساتها، ومواطنيها الذين بعضهم يشتكي لنقص أصاب رفاهيته، ونحن إذا قصدنا الوصول إلى أعمالنا يومياً، قد تجوع عائلاتنا، وخاصة أننا نعمل 7 أيام في الأسبوع وعلى مدار الـ 24 ساعة». فلنتذكّر أن ما وراء الـ«Allo» موظفين بمداخيل محدودة لا يتجاوز معدلها الوسطي الـ 5 ملايين ليرة، في بلدٍ تحتاج فيه الأسرة إلى ما لا يقلّ عن 15 مليون ليرة كحدٍ أدنى للعيش.

القطاع يتّكئ على «أوجيرو»

تؤدي هيئة «أوجيرو» دوراً مهماً في إدارة قطاع الاتصالات، إذ إن الدولة تستقدم الإنترنت وتبيعه عبر «أوجيرو» للشركات الخاصة العاملة في مجال توزيع خدمات الإنترنت. لذا، فإن الإضراب يعني التوقف عن تزويد السنترالات بالمازوت والإحجام عن أعمال الصيانة وإصلاح الأعطال التي طرأت وستطرأ على الشبكات وأدّت إلى عزل بعض المناطق بعضها عن بعض. بعض شركات القطاع الخاص عرضت في اليومين الماضيين القيام بأعمال الصيانة وتعبئة المازوت للسنترالات. هذا الواقع وحساسية الدور الذي تقوم به «أوجيرو»، وتأثيره على مختلف القطاعات، تدركه السلطة السياسية التي استنفرت بوجه الموظفين بداية.

تقرير

الفيول الإيراني: ميقاتي «شحاد ومشارط»!

ميسم رزق

لن يرفّ جفن لرئيس الحكومة نجيب ميقاتي حتى ولو «فطس» اللبنانيون جميعاً بسبب انقطاع التيار الكهربائي في أشد الأيام حرارة، طالما أن منازله في لبنان، وبطبيعة الحال في بلدان العالم «الأول»، مضاءة، وطالما أن السفارة الأميركية وبقية أوكارها السرية والمعلنة «مشعشعة». وهو، كرمى لعيون دوروثي شيا و«معلّميها» في واشنطن، لن يزعجه أن يواصل الهواية الأحبّ إلى قلبه: المماطلة وعدم قول الحقيقة.

مع «صفر كهرباء» - وقريباً ربما «صفر اتصالات» - همّ ميقاتي الأوحد إرضاء أميركا التي تملك دفتر عقوبات تضيف إليه من تشاء وتستبعد منه من تشاء، حتى ولو ابتلعت العتمة كل شيء. وهو مستعد للانتظار إلى أبد الآبدين «إذن» واشنطن الذي لن يأتي لاستجرار الغاز المصري والكهرباء الأردنية، على أن يشكّل وفداً يزور طهران للبحث في العرض الإيراني بتزويد لبنان بالفيول مجاناً. و«الميقاتي» أشطر من عليها في ابتداع الحجج والذرائع، مرة للتأكد من أن الهبة غير مشروطة، وأخرى للتأكد من مجانيتها، ومرة ثالثة للتأكد من المواصفات... حتى إذا ما أعيته الحجج لجأ إلى وضع الشروط على طريقة «شحّاد ومشارط»!

فمنذ أن أعلن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله الشهر الماضي استعداد إيران لتزويد معامل الكهرباء اللبنانية بالفيول مجاناً، بعد موافقة الحكومة اللبنانية، يدور الجدل عن الأسباب التي تمنع الحكومة ورئيسها من طلب المساعدة أو قبول الهبة. ومع أن ميقاتي يستمر في استخدام حجج ملتوية للتهرب من الموافقة الرسمية. فبعد اللقاء الذي جمع رئيس الحكومة بالسفير الإيراني الجديد مجتبى أماني لتقديم الأخير أوراق اعتماده، وتمّ التداول خلاله بالملف، استمرت الاتصالات لمناقشة ما يحتاجه لبنان وما تستطيع إيران أن تقدمه، وفقاً لورقة المواصفات التي أرسلتها وزارة الطاقة في تموز الماضي إلى السفير الإيراني في بيروت بعنوان «متطلبات إنتاج الطاقة الكهربائية» مرفقة بجداول مفصلة عن مواصفات الفيول والكميات المطلوبة. وقد أرسل السفير الإيراني الورقة إلى بلاده وجاء الجواب بأنها مؤمّنة، ولكن المطلوب أن توفد الحكومة اللبنانية وفداً رسمياً للتنسيق في الأمور التقنية. وقالت مصادر مطلعة إن «ميقاتي عاد وتحدث عن عدم مطابقة الفيول الإيراني للمواصفات، علماً أن ذلك ليس صحيحاً»، مشيرة إلى أن هناك «نقطة وحيدة يمكن معالجتها وهي احتواء الفيول على نسبة عالية من الكبريت، وهو أمر واجهناه مع الفيول العراقي». وكشفت المصادر أن «الجهات التي تعمل على حل هذا الملف عرضت على ميقاتي حليّن لذلك: الأول، الاستعانة بشركة متخصصة تعمل على خفض نسبة الكبريت في الفيول عبر استخدام مواد معينة، وهناك تجارب سابقة للبنان في هذا المجال. إذ تمت الاستعانة في التسعينيات بشركة سويسرية لمهمة كهذه. والثاني، اعتماد الخيار الذي اتبعته الدولة مع الفيول العراقي عبر إجراء عملية استبدال (swap) مع شركة

> **رئيس الحكومة يواصل المماطلة ويريد من طهران 8 ساعات تغذية**

خاصة تزوّد لبنان بنفط مطابق». وعلمت «الأخبار» أن الخيارين نوقشا مع رئيس الحكومة، وطلب إليه التواصل مع نظيره الإيراني أو تشكيل وفد ليزور طهران، علماً أن وزير الطاقة وليد فياض يدفع في اتجاه تشكيل الوفد ولا يمانع أن يذهب هو شخصياً إلى إيران للبحث فيه. وقالت مصادر وزارية إن «مستشاراً من وزارة الطاقة زارَ السفارة الإيرانية في بيروت أخيراً لهذه الغاية».

ويقول معنيون بالملف إن «الجانب الإيراني لن يرضى بإرسال الهبة من دون موافقة رسمية مسبقة خشية أن تصل البواخر إلى بيروت فتسحب الدولة اللبنانية يدها من الأمر وترفض استلام الفيول خوفاً من الغضب الأميركي». إلا أن المفارقة تكمن في طلبات مستجدة لرئيس الحكومة الذي «يسأل عن إمكان أن تؤمّن إيران فيولاً يكفي لنحو 8 ساعات من التغذية يومياً، تضاف إلى ساعتَي تغذية يؤمّنهما الفيول العراقي وساعتين أخريين يمكن تأمينهما عبر اتفاق مع شركة سوناطراك الجزائرية». واستغربت المصادر هذا «الطلب غير المنطقي»، وسألت: «كيف يمكن أن نشترط أن تكون الهبة كافية لتأمين هذا العدد من ساعات التغذية، وهو ما لم يؤمّنه الفيول العراقي الذي ندفع ثمنه؟»، مشيرة إلى أن كل ذلك «مجرد حجج وعقبات يضعها ميقاتي لتبرير عدم قبول الهبة بشكل رسمي، وذلك بطلب من السفيرة الأميركية في بيروت».

(هيثم الموسوي)

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [6]

أسعد أبو خليل *

حديثنا هنا عن مذكّرات صائب سلام التي صدرت للتوّ في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة مهمّة شارك هو في صنع بعضها.

وهناك جانب طريف في المذكرات في وصف استعدادات الفريق الإسلامي في الحرب الأهليّة في 1958. يكتشف القارئ مثلاً أن المؤرخ الفلسطيني المعروف، وليد الخالدي، كان يقود الشباب المسلّح في منزل صائب (ص 307، ج 1. ووليد الخالدي تزوّج شقيقة صائب، رشا، فيما كان والده، أحمد سامح، متزوّجاً شقيقة صائب، عنبرة. أخذتني سنوات قبل أن أعرف صلة القرابة هذه بين وليد الخالدي وصائب سلام). ويبدو الفريق الإسلامي والعروبي مفتقراً إلى الاستعداد والتجهيز. ويقول صائب إن المساعدات المصريّة (كم بالغ نظام شمعون - شارل مالك وضخّم في أمر المساعدات المصريّة لـ«الثوّار»، وكانوا يشكون ذلك إلى مجلس الأمن بدعم أميركي) لم تكن ماديّة بقدر ما كانت «معنويّة» (ص. 309، ج 1).

ويبالغ صائب في الاستعراض، إذ يقول إنه لم يستطع تغيير ملابسه أثناء الثورة وإنه بقي «يقميص سبور وبنطلون» طوال أيام «الثورة». هل من المعقول أن صائب لم يجد من الوقت ما يسمح له بتغيير الملابس طوال الثورة؟ حتى لينين كان يغيّر ملابسه في الثورة الروسيّة. وهناك صورة استعراض شهيرة لصائب أثناء تظاهرات أيّار 1957 حيث يظهر ببوزات مختلفة والضمادة على جبهته بعدما تلقّى ضربة من عقب بندقيّة أحد الجنود. لكن صائب كان قد وجّه صفعة لقائد المجموعة «كسرتْ له إحدى أسنانه ووقعتْ قطعة منها أرضاً» (ص. 284، ج 1). والفارق بين الاستعداد القتالي والإعلامي لـ«الكتائب» (مقارنة بالطرف الآخر) يظهر في عام 1958 ويتكرّر في عام 1975. وكان «الكتائب» أوّل من أطلق إذاعة خاصّة في حرب 1958، فيما كان الصف الإسلامي العروبي مبعثراً وغير منظّم، حتى إن صائب تدخل أكثر من مرّة لوقف المشاجرات وإطلاق النار بين المسلّحين في الصف الواحد (ص. 309، ج 1).

وجاء المبعوث الأميركي، روبرت مورفي، إلى بيروت والتقى بصائب الذي يزعم أنه بعدما مشى إلى المكان المحدّد (من قبل مورفي) سيراً على الأقدام، بادره الأخير بالقول إنه «الوحيد، من بين الذين قابلهم، القادر على اتخاذ القرار» (ص. 320، ج 1). لكن كالعادة، روايات صائب لا تتطابق مع الأدلة التاريخيّة. يقول مورفي في روايته «دبلوماسي بين متحاربين» إنه التقى صائب في البسطة (ص. 508) ولا يقول عن اللقاء أكثر من ذلك. ويعترف صائب بأنه زكّى ترشيح فؤاد شهاب، لكنه سرعان ما ندم على قراره. ويقول: «وكم ندمتُ على موقفي من الإصرار على انتخاب فؤاد شهاب، عندما علمتُ في ما بعد بالمعاناة الشخصيّة، ما كان يتّصف به... من ضعف في الثقافة، وتعصّب، بالإضافة إلى ضيق صدره، واتجاهه الحاقد ضدّ المسلمين، على الرغم من السمعة غير الصحيحة من أنه صديق المسلمين» (ص. 323، ج 1). وبالرغم من أنني أوافق صائب في تقييمه لفؤاد شهاب، إلّا أنه يجعلنا نشكّك في حكمته السياسيّة لأنه يعترف أكثر من مرة بأنه يختار شخصاً ما لمنصب وسرعان ما يكتشف بأن قراره كان غير صائب (مثل سليمان فرنجيّة أو رشيد كرامي أو عثمان الدنا أو إبراهيم قليلات). كان الأجدر بصائب أن يعترف بأن الخبرة أو الصوابيّة في اختيار الأشخاص للمناصب كانت تنقصه. وصائب على حق في أن شهاب كان «العامل الأكبر» في تعطيل الديموقراطيّة في لبنان من خلال «المكتب الثاني».

ويقول صائب إنه عارض سياسات شمعون «السافرة» (ص. 291، ج 1) لأنها كانت «معادية للخطّ العربي ومنساقة مع مشروع أيزنهاور الاستعماري». لو كنا نعرف أن صائب في سرّه كان معارضاً للاستعمار الغربي إلى هذه الدرجة لطالبناه بالانضمام إلى صف اليسار. (لكن عداء صائب للسياسة الأميركيّة لم يمنعه من قبول مهمة أميركيّة للقاء محمد صدّق في طهران—بإيعاز من صاحب شركة «بان أم»—وذلك لتسهيله بيع النفط الإيراني لأميركا. وكان صائب يرسل رسائل بالشيفرة إلى أميركا لموافاة الأميركيّين بنتائج الزيارة، لكنهم لم يردّوا عليه -ص. 245، ج 1). ويقول إنه رفض عرضاً من قبضاي بيروتي (يربطه بعبد الله اليافي على طريقته في «التنقير» على اليافي، ولمّا عودة أدناه) لقتل شمعون لأن صائب «لا يسمع لأحد بأن يكلّمه بمواضيع الإجرام». وحاول الملك سعود التخفيف من معارضة شمعون من قبل سلام واليافي والعويني (أقرب حليف سنّي للنظام السعودي قبل ظاهرة رفيق الحريري) واستدعاهم إلى عمّان في طائرته الخاصّة ونقل إليهم «تهديدات صريحة» لهم ولعائلاتهم من شمعون (ص. 292، ج 1). ويقول صائب إنه واجه سعود بحزم، لكن اليافي والعويني استاءا من مواجهته للملك مع أن سلام (لا اليافي) كان معروفاً بودّه وقربه من النظام السعودي على مرّ السنوات.

وبالرغم من أن صائب وعائلته نبذا الفرقة الطائفيّة والمذهبيّة، إلا أن صائب في الحملات الانتخابيّة لم يكن يتورّع عن التأجيج الطائفي ضد خصومه. يفعلها في المذكرات أيضاً، وخصوصاً ضد عبد الله اليافي. يحقد صائب كثيراً على اليافي ولا يفوّت مناسبة للتجريح به، ولربطه بالاستعمار الفرنسي حيناً وبـ«المسيحيّين» حيناً آخر. يقول صائب: «كما حصل مع عبد الله اليافي الذي أصبح—مع غيره من المسلمين، من أمثال رامز المخزومي... وبدر دمشقيّة...محسوباً على المسيحيّين، فخسروا جميعاً قواعدهم الشعبيّة عند المسلمين، وبالتالي دورهم في تحقيق الوفاق الوطني» (ص. 293). لكن التعبير بالربط بالمسيحيّين يتنافى مع دعوات صائب العلنيّة (وحتى في بعض أقسام اليوميّات) للوفاق الإسلامي - المسيحي. ثم، إذا كان عبد الله اليافي قد خسر قواعده الشعبيّة، فلماذا نغّص على صائب حملاته الانتخابيّة كل هذه السنوات وفاز عليه بعد الأصوات في انتخابات 1968؟

ولا يكتفي صائب بالتجريح بعبد الله اليافي، فهو لم ينفكّ في اليوميّات عن ذمّ رشيد كرامي ويزعم أن رشيد أرسل له بطرس ديب (شغل مناصب عدّة؛ منها سفير في الفاتيكان ومدير في القصر الجمهوري ورئيس للجامعة اللبنانيّة) كي يبلغ عرّابته في إنهاء الحركة السياسيّة وأن رشيد «لم يعد يحتمل الوضع» (ص. 315، ج 1)، وأنه «مضمر عقب نهاية الأحداث على ترك العمل السياسي ومغادرة لبنان». ويقول صائب إن كرامي لم يكن يتحمّل الصدام في طرابلس، وكعادة صائب في سوق الاتهامات، يتهم كرامي بعلاقة سريّة مع شمعون، إذ يقول «بل كان على اتصال دائم بالمسؤول الشمعوني الأمني هناك» (ص. 315، ج 1). ولا يذكر صائب مصدراً لهذا الاتهام الخطير في زمن «الثورة». ويعود صائب ويكرّر في اليوميّات التذكير بضعف وانهيار كرامي تدليلاً على ضعف شخصيّته مقارنة بصائب الصلب (ينفي مصدر معروف، وكان قريباً جداً من كرامي، صحّة اتهام صائب). ويقول صائب إن محمود الدنا كان مؤيّداً لفوزي الحص (الذي يتهمه بالعمالة للمخابرات الأميركيّة، كما أسلفتُ، وبالشمعونيّة)، لكنه يضيف إن الدنا كان «ينتسب للحركة الناصريّة» (ص. 315، ج 1). كيف تستقيم هذه؟

ويستعر الخلاف بين صائب واليافي في انتخابات 1960. يقول صائب إن عبد الحميد السرّاج ضغط من أجل أن ينضمّ سلام واليافي إلى قائمة واحدة في دائرة بيروت الثالثة. ويقول صائب إن «المشير» (أي عبد الحكيم عامر) فرض ترشيح رشيد الصلح على القائمة. رفض صائب ذلك وثار على سفير مصر في لبنان، عبد الحكيم غالب. ويقول صائب إنه خيّر اليافي بين الاستمرار في المعركة الانتخابيّة معه أو ضدّه، إلا أن اليافي اختار العمل معه. لكن صائب لا يقول الحقيقة كاملة. يخفي أن اليافي كان رئيس القائمة. وعائلة عبد الله اليافي لا تزال تذكر تلك الانتخابات، وهي التي أحدثت الشقاق الأبدي بين اليافي وسلام. لقد اطلعتُ على رواية عبد الله اليافي من خلال نسخة من جريدته «السياسة» وقد صدرت بافتتاحيّة (لأسعد المقدّم الذي كان رئيس تحريرها) بعنوان «اسمع يا غياث وع كيف يكون الوفاء وكيف يكون الغدر والخيانة». صُدمَ فريق اليافي في سقوط المرشح الذي كان يرئس القائمة. اعتبرت عائلة اليافي ومؤيّدوه أن صائب خان اليافي. وتقوّل افتتاحيّة «السياسة» إن اليافي تلقّى «طعنات» من سلام من قبل، لكنه سكتَ عليها. وعبد الله اليافي على حقّ في أنه وزّر سلام في حكومة ألّفها في عهد شمعون، بالرغم من معارضة الأخير (هل يمكن تصوّر أن يعمد صائب إلى توزير عبد الله اليافي في حكومة برئاسته؟) وكان التوافق بين اليافي وسلام على كلمة شرف للإيعاز إلى المؤيّدين بتأييد القائمة كما هي—أي من دون تشطيب. هنا، تتوافق رواية اليافي، بطريقة غير مباشرة، مع رواية سلام. سلام ينسب إلى اليافي قوله إن عبد الله المشنوق هو «مسلم زيادة». لكن اليافي في جريدته تمنّع عن استعمال المصطلح (في الردّ على اتهام سلام) فقال تعفّفاً «... زيادة». ويقول صائب إن وصف المشنوق هذا شاع بين الناس. وصائب صريح في كلامه أنه كان يعتبر (ويشيع) عن اليافي أنه أداة بيد المسيحيّين، أي أن سلام وحده يمثّل الطائفة حقّ تمثيل. ويقول صائب (من دون دليل) إن زوجة اليافي وشقيقه زارا مسيحيّي حي المزرعة وتنصّلاً من «الثورة». لكن اتهام اليافي والكويت لسلام يزداد صدقيّة في يوميّات صائب، إذ إن الأخير يقول إنه حذّر اليافي من أنه سيجد صعوبة في السيطرة على أنصاره «وردود فعلهم ضدّك» إذا ما استمرّت التصرّفات التي يستنكرها صائب. كما أن صائب يعترف بأن عبد الله اليافي تلقّى نسخة من لائحة مطبوعة وفيها اسم اليافي مشطوب. كما يعترف صائب بأن اليافي اتصل به على الفور مستفسراً بعد العثور على اللائحة المطبوعة، لكن صائب يقول إن ذلك محض اختلاق، وإن اليافي هو الذي «أوعز إلى جماعته وناخبيه» بشطب اسم صائب. لكن صائب فاز وسقط اليافي. ويقول لي مصدر في عائلة اليافي إن زوجة اليافي عندما قصدت بيت صائب رات بنفسها لوائح وقد شُطبَ منها اسم عبد الله اليافي، وكان أوّل اسم في اللائحة. وصائب يعود في مكان آخر من اليوميات ليعترف بالتشطيب ويقول إن أنصاره شطبوا اسم اليافي لأن أنصار اليافي شطبوا اسمه ولأن «شعوراً» راودَ مؤيّدين بأنه يفضّل عبد الله المشنوق على اليافي. لكن من أين لأنصاره هذه الشعور إذا لم يكن هو قد نقل شعوره إليهم؟ وحيلة صائب في نسب وصف المشنوق بـ«مسلم زيادة» لليافي أصاب عصفورَيْن: هو أضرَ باليافي في الوسط الإسلامي وزاد من رصيد المشنوق في نفس الوسط. ولا يعطي صائب تفسيراً لموقف اليافي (أي حنقه) بعد تشطيب اسمه غير نسب ذلك إلى «جملة مشاكل تعود إلى مواقف اليافي المعروفة في الظروف الحرجة» (ص. 348، ج 1). أي أن صائب يلجأ كعادته إلى أسلوب الغمز واللمز والتلميح في الذم والتشهير بالخصوم. لا بل يقول صائب إن اليافي اعتصم في مكتبه وبكى. لكن كيف له أن يعرف ذلك وهو لم يره؟ وهذه الانتخابات كانت مهمّة جداً لسلام لأنه كان يعلم أن الفائز بها كان سيُكلَّف بتأليف الوزارة: ومَما يؤكّد ذلك (استماتة صائب في الفوز وفي إسقاط اليافي) أن صائب اتصل آنذاك بابن شقيقه هاني في الكويت وألحّ في طلب تحويل المال له لدعم حملته الانتخابيّة وصرّح له بأن نجاحه سيضمن وصوله إلى رئاسة الوزارة (وبالفعل، استجاب هاني سلام لطلب صائب وحوّل له مبلغ 20 ألف جنيه استرليني. مصدري هنا هو هاني سلام نفسه).

> صائب على حق في أن شهاب كان «العامل الأكبر» في تعطيل الديموقراطيّة في لبنان من خلال «المكتب الثاني»

ولم تنحصر خلافات صائب باليافي فقط، فهي شملت أيضاً عثمان الدنا وسليمان العلي. وكالعادة، يريد صائب منا أن نصدّق أنه ساعد كل خصومه، لكن هؤلاء كانوا جاحدين وناكري جميل. يقول إن عثمان الدنا كان يلازمه كظلّه ويرافقه (ويبدي استعداداً للجلوس قرب السائق لو اصطحبه سلام في زيارة إلى سوريا، ص. 354، ج 1) وأن صائب «جعله» وزيراً، لكن الدنا خذله ويقول صائب في هذا: «ويا لندمي على ما فعلت». ما هذا؟ صائب يساعد الجميع والكل يخذل صائب ولا يقدّر له جميله. مسكين صائب سلام، كم كان مظلوماً، وكم كان كل خصومه—السنّة خصوصاً—ظالمين له.

ويلعب سلام دوراً في السياسة العربيّة وهو يُصلح بين الزعماء العرب، وأقنع الملك حسين بعدم إلقاء خطاب ضد عبد الناصر (ص. 361، ج 1، مع أنه في أماكن أخرى في الكتاب يقول إن عبد الناصر كان يكنّ وُدّاً نحو الملك حسين ويفاضله بين الحكام العرب). لكن صائب يشطّ كثيراً ويفرط في مدح الذات والمفاخرة عندما يزعم أنه من مؤسّسي فلسفة الحياد الإيجابي (ص. 366، ج 1). ليس هناك من أي دليل على ذلك، إلا إذا كان ذلك بناءً على حضوره المؤتمر ممثلاً لبنان. وتظهر في الكتاب الأعيب ومراوغات السياسة الخارجيّة للبنان في حقبة ما قبل الحرب الأهليّة. فقد كان هناك قرار لمصلحة فلسطين في الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة في عام 1960 وكان لبنان وإسرائيل وحيدَيْن (حسب صحف لبنان يومها) في رفض القرار. لكن صائب سلام يعطي سبباً غير مقنع البتّة في تفسير امتناع لبنان عن التصويت، إذ يلوم في ذلك السفير رامز الشعّاع الذي لم يحضر الجلسة لأنه قرّرَ أنه لن يصدر عنها قرارات مهمّة. لكن لماذا تغيّب صائب عن جلسة مهمّة فيها تصويت عن فلسطين؟ جوابه أنه تغيّب لأنه كان يلبّي (مع جميع أعضاء الوفد) دعوة عشاء عند القائم بالأعمال اللبناني، خليل مكّاوي (ص. 369، ج 1). يقول صائب إنه أصرّ على الشمّاع بالحضور. لكن لماذا لم يكلّف أكثر من شخص للحضور ضماناً لتصويت لبنان؟ هنا، يُشتبه في أن لبنان كان، كعادته، يساير الإدارة الأميركيّة في مهادنة إسرائيل، كما كان مسار السياسة الخارجيّة للبنان قبل الحرب الأهليّة. وشنّت الصحف المصريّة حملة ضد لبنان بسبب ذلك وحمّلت صائب (وعن حقّ) المسؤوليّة عن خذلان لبنان للقضيّة الفلسطينيّة في المحفل الدولي. أمّا في موضوع التصويت مع «الصين الشعبيّة» فيعترف صائب بأنه امتنع عن التصويت (لمصلحة الصين الشعبيّة) من أجل «التضامن الوطني على حساب قناعتي الشخصيّة» (ص. 370، ج1). هنا مرّة أخرى يظهر لبنان أسيراً لسياسة أميركا، بالرغم من حجج واهية لصائب.

ويتحدّث عن خلافه مع بورقيبة لأنه شنّ حملات ضد الناصريّة (ص. 383، ج1) وبسبب دعوته للصلح مع إسرائيل وقبول قرار التقسيم. لكن صائب (في السرّ لا في العلن) يبدي تأييداً لمواقف بورقيبة التي عارضها في العلن ويقول: «ويا ليتنا—مع جميع العرب—قبلنا ما قاله بورقيبة ووافقنا على ما طالب به من سياسة واقعيّة لكنّا وفّرنا على أنفسنا ما أوصلنا إليه الصراع العربي - الإسرائيلي اليوم من عنتريات وقسوة، بينما العرب أصبحوا يتمنّون الصلح مع إسرائيل ومن موقع الضعف المتناهي». لم يوصلنا الصراع مع إسرائيل إلى البؤس، بل إسرائيل من خلال عدوانها واحتلالاتها هي التي أوصلتنا إلى البؤس، بالإضافة إلى أصحاب المواقف الخانعة في مواجهة إسرائيل، وصائب منهم (سنذكر كيف ردّ صائب على مبادرة السادات، بالرغم من تضليل صائب في المذكرات حول ذلك).

ويروي صائب جانباً غير معلوم عن حقيقة الجلسات الحكوميّة في عهد شهاب. ووصف صائب لشهاب ولمنحاه الطائفي يتناقض مع صورة منزّهة عنه رسمتها الأجهزة الشهابيّة مذّاك. لم يكن شهاب القديس المترفّع كما يصفه مريدوه وبعض الشباب على مواقع التواصل. لم يكن شهاب يتوزّع عن زرع الشقاق بين السنّة والشيعة (ص. 373، ج1). والشيعة الذين كانوا في فريق الشهابيّة، مثل محمد صفي الدين، لم يكونوا صنّاع قرار بل كانوا مثل الرجل الأسود في حكومات الحزب الجمهوري. ويقول صائب «كنا نتجادل كأولاد صغار وبصراخ عالٍ». ولأمر شهاب السنّة على غياب التمثيل الشيعي كأنه كان للسنّة أيّ سلطة قرار في جمهوريّة ما قبل الطائف.

ومن القضايا المهمّة التي يتحدّث عنها صائب هي قضيّة جامعة بيروت العربيّة. وقف فؤاد شهاب وكل فريق زعماء الموارنة الانعزاليّين ضد الاعتراف بكليّة حقوق للجامعة العربيّة لأنهم—هكذا ببساطة وصفاقة طائفيّة—عارضوا نشر التعليم بين المسلمين. إن زرع مدارس الإرسالية أفاد المسيحيّين أكثر من المسلمين وأعطاهم حظوة كفاءة (لم تكن وحدها مُقرّرة) ولم يرد زعماء الموارنة أن يؤدّي انتشار التعلّم عند المسلمين إلى تعيين المزيد من المسلمين في دوائر الدولة. يومها، زعم شهاب وفريقه الطائفي أن كليّة الحقوق في الجامعة العربيّة ستخرّج «طلاباً دون المستوى المطلوب» (ص. 377، ج1). ونفس هؤلاء عارضوا معادلة شهادة التوجيهيّة، لا بل عارضوا إنشاء جامعة لبنانيّة—وهي تأخرت كثيراً في الإنشاء مقارنة بالجامعة في الدول العربيّة. العامل الطائفي كان المقرّر في ذلك، والإسلاموفوبيا كانت في العقيدة المؤسّسة لجمهوريّة لبنان الكبير.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

آخر أمين عام للحزب الشيوعي السوفياتي

محمد سيد رصاص *

هناك تشابه بين ميخائيل غورباتشوف، آخر أمين عام للحزب الشيوعي السوفياتي (1985-1991)، وبين آخر القياصرة الروس، أي نيقولا الثاني، من حيث صفات «النقص في وعي الأحداث»، بحسب تعبير أحد الجنرالات القريبين منه، ومن حيث وصف تروتسكي له بعدم قدرته على تلمس «الجزر التاريخي الذي كانت أمواجه الهادرة تقترب من باب القصر يوماً بعد يوم» (الاستشهادان من كتاب ليون تروتسكي: «تاريخ الثورة الروسية»، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1971). يمكن أن نجد شبيهاً ثانياً بغورباتشوف هو الملك لويس السادس عشر الذي قامت الثورة الفرنسية عام 1789 ضده. ويبدو، هنا، أن زوال نظام دولة، أو حلول خريفها، تظهر ملامحه في صفات السوفياتي، وهو أصبح، في أربعة أشهر تفصل فشل الانقلاب عن تفكك الاتحاد السوفياتي، في حالة من انعدام الوزن.

هنا، يمكن استحضار عبارة الجنرال الروسي عن نيقولا الثاني: «النقص في وعي الأحداث»، لتطبيقها على غورباتشوف، من حيث أنه حاول إثر انفجار سد النهر السوفياتي بعد أن فتح فتحته، وهو ما ظهر بفترة 1985-1987، أن يحل المشكلة الداخلية السوفياتية من خلال تنازلات لواشنطن، كما فعل في مؤتمر قمة واشنطن مع الرئيس الأميركي ريغان في كانون الأول 1987، عندما تخلى عن سياسة سوفياتية معلنة منذ عام 1983 تقوم على ربط تفكيك الصواريخ السوفياتية المتوسطة والقصيرة المدى (س س) المصوبة للعواصم الأوروبية بتخلي واشنطن عن برنامج حرب النجوم. ولكن واشنطن لم تعطه شيئاً بالمقابل، بل زادت الضغط عليه لإفقاده كل شيء، ومن أجل جعل الاتحاد السوفياتي يفقد وضعية القطب الثاني للعالم. وهو ما ظهر في سقوط حر سوفياتي لاحق من خلال تفرج موسكو على عملية تفكك الأنظمة الشيوعية في دول حلف وارسو بخريف 1989، وفي قبول موسكو بالوحدة الألمانية عام 1990 من دون أي مقابل، مع الاكتفاء بوعد كلامي بعدم تمدّد «الناتو» شرقاً، وهو ما أخلت به ولم تلتزم به واشنطن.

كما دفع التأزم الداخلي السوفياتي غورباتشوف للتنازل خارجياً لواشنطن عام 1987 بعد سنتين من البيريسترويكا، فإن هزيمة موسكو أمام واشنطن التي ظهرت معالمها بعام 1989 في مجمل المسرح الدولي، وأهمها تفكك الكتلة السوفياتية، قد قادت إلى ازدياد الأزمة الداخلية السوفياتية وإلى إنشاء حالة تصادم (بعد أن كان هناك تفارق قبل البيريسترويكا ثم تباعد بفترة 1985-1989) بين البنية الدولتية السوفياتية بجناحيها الاقتصادي (رأسمالية الدولة) والسياسي (الحزب الواحد) وبين البنية الاقتصادية-الاجتماعية-الثقافية السوفياتية التي اتجهت غالبيتها لتكنيس «رأسمالية الدولة» و«الحزب الواحد» لصالح «اقتصاد السوق» و«الديموقراطية السياسية»، وهو ما حصل في الربع الأخير من عام 1991.

كان، هنا، يلتسين هو الوريث الشرعي للينين، من حيث أن المسار الحتمي لرأسمالية الدولة هو اقتصاد السوق، وهو ما لم يدركه الزعيم البلشفي الذي لم يع ما قاله كارل ماركس في «البيان الشيوعي» كسياسة للشيوعيين في بلد ما قبل رأسمالي هو ألمانيا توازيه روسيا في التخلف عندما كتب التالي: «وفي ألمانيا يناضل الحزب الشيوعي بالاتفاق مع البرجوازية ما دامت تناضل هذه البرجوازية نضالاً ثورياً ضد النظام الملكي المطلق وضد الملكية الإقطاعية العقارية وضد البرجوازية الصغيرة الرجعية»، فيما للشيوعيين برنامج اشتراكي في بريطانيا المتقدمة، وهو أمر أدركه دينغ سياو بينغ في الصين منذ عام 1978 مما دفعه لقيادة التحول الرأسمالي الصيني الحالي ولكن بقيادة الحزب الشيوعي (من دون حريات سياسية بل فقط اقتصادية) عبر إدراكه بأنه لا يمكن الدخول في المرحلة الاشتراكية من دون استنفاد كافة مرحلة الرأسمالية ومتطلباتها. والأرجح أن هذا كان وعياً متقدماً منه هو الذي أنقذ الحزب الشيوعي الصيني من المصير الذي صار إليه الحزب الشيوعي السوفياتي مع غورباتشوف وبيريسترويكاه.

بيريسترويكا (إعادة البناء) وغلاسنوست (المكاشفة) ميخائيل غورباتشوف منذ نيسان 1985. ولكن البيريسترويكا لم تستطع أن تعبر عن قوى اجتماعية، وإنما استغلت قوى اجتماعية ظرف البيريسترويكا بما أتاحه من حريات من أجل التعبير عن ذاتها عبر الليبرالية (يلتسين) أو عبر اتجاهات قومية ظهرت في روسيا وأوكرانيا وببقية الجمهوريات السوفياتية. وبينما ظل المحافظون الشيوعيون يتمتعون بقوة في الجهاز السلطوي وعند قوى كثيرة في الجهاز الإداري وفي الريف، أصبح غورباتشوف، عبر مسار البيريسترويكا، هو أضعف الكل. وهذا ما ظهر في فترة محاولة انقلاب الشيوعيين المحافظين (آب 1991) حيث تجابه الليبراليون والقوميون مع القوى الانقلابية وهزموها، وبعد أن هزموها أجبروا غورباتشوف على الرحيل وتفكيك الاتحاد السوفياتي، وهو أصبح، في أربعة أشهر تفصل فشل الانقلاب عن تفكك الاتحاد السوفياتي، في حالة من انعدام الوزن.

هنا، يمكن استحضار عبارة الجنرال الروسي عن نيقولا الثاني: «النقص في وعي الأحداث»، لتطبيقها على غورباتشوف، من حيث أنه حاول إثر انفجار سد النهر السوفياتي بعد أن فتح فتحته، وهو ما ظهر بفترة 1985-1987، أن يحل المشكلة الداخلية السوفياتية من خلال تنازلات لواشنطن، كما فعل في مؤتمر قمة واشنطن مع الرئيس الأميركي ريغان في كانون الأول 1987، عندما تخلى عن سياسة سوفياتية معلنة منذ عام 1983 تقوم على ربط تفكيك الصواريخ السوفياتية المتوسطة والقصيرة المدى (س س) المصوبة للعواصم الأوروبية بتخلي واشنطن عن برنامج حرب النجوم. ولكن واشنطن لم تعطه شيئاً بالمقابل، بل زادت الضغط عليه لإفقاده كل شيء، ومن أجل جعل الاتحاد السوفياتي يفقد وضعية القطب الثاني للعالم. وهو ما ظهر في سقوط حر سوفياتي لاحق من خلال تفرج موسكو على عملية تفكك الأنظمة الشيوعية في دول حلف وارسو بخريف 1989، وفي قبول موسكو بالوحدة الألمانية عام 1990 من دون أي مقابل، مع الاكتفاء بوعد كلامي بعدم تمدّد «الناتو» شرقاً، وهو ما أخلت به ولم تلتزم به واشنطن.

قادت إلى ازدياد الأزمة الداخلية السوفياتية وإلى إنشاء حالة تصادم (بعد أن كان هناك تفارق قبل البيريسترويكا ثم تباعد بفترة 1985-1989) بين البنية الدولتية السوفياتية بجناحيها الاقتصادي (رأسمالية الدولة) والسياسي (الحزب الواحد) وبين البنية الاقتصادية-الاجتماعية-الثقافية السوفياتية التي اتجهت غالبيتها لتكنيس «رأسمالية الدولة» و«الحزب الواحد» لصالح «اقتصاد السوق» و«الديموقراطية السياسية»، وهو ما حصل في الربع الأخير من عام 1991.

كان، هنا، يلتسين هو الوريث الشرعي للينين، من حيث أن المسار الحتمي لرأسمالية الدولة هو اقتصاد السوق، وهو ما لم يدركه الزعيم البلشفي الذي لم يع ما قاله كارل ماركس في «البيان الشيوعي» كسياسة للشيوعيين في بلد ما قبل رأسمالي هو ألمانيا توازيه روسيا في التخلف عندما كتب التالي: «وفي ألمانيا يناضل الحزب الشيوعي بالاتفاق مع البرجوازية ما دامت تناضل هذه البرجوازية نضالاً ثورياً ضد النظام الملكي المطلق وضد الملكية الإقطاعية العقارية وضد البرجوازية الصغيرة الرجعية»، فيما للشيوعيين برنامج اشتراكي في بريطانيا المتقدمة، وهو أمر أدركه دينغ سياو بينغ في الصين منذ عام 1978 مما دفعه لقيادة التحول الرأسمالي الصيني الحالي ولكن بقيادة الحزب الشيوعي (من دون حريات سياسية بل فقط اقتصادية) عبر إدراكه بأنه لا يمكن الدخول في المرحلة الاشتراكية من دون استنفاد كافة مرحلة الرأسمالية ومتطلباتها. والأرجح أن هذا كان وعياً متقدماً منه هو الذي أنقذ الحزب الشيوعي الصيني من المصير الذي صار إليه الحزب الشيوعي السوفياتي مع غورباتشوف وبيريسترويكاه.

* كاتب سوري

تقرير

العرض العسكري الأكبر منذ بدء الحرب وأضحى لليمن جيشه

لم يكن العرض العسكري الذي نظّمته قوات صنعاء في مدينة الحديدة عادياً. بل جاء محمّلاً بالرسائل والدلالات. سواءً لناحية العديد بعد دمج «اللجان الشعبية» بالجيش، أو لناحية العدّة في ظلّ الكشف عن قدرات عسكرية جديدة لم تكن متوافرة لدى القوات اليمنية سابقاً. والأكيد أن هذا العرض، بمكانه الاستراتيجي وتوقيته الفارق وقُدراته النوعية، سيكون له وقْعه لدى التحالف السعودي - الإماراتي ورُعاته، وحتى لدى إسرائيل

صنعاء ـ رشيد الحداد

خلافاً لما توقّعه التحالف السعودي - الإماراتي، لم تتراخَ قوّات صنعاء في خلال الهدنة الإنسانية التي مُدّدت ثلاث مرّات، ودخلت شهرها السادس، بل تمكّنت هذه القوّات، في المدّة المذكورة، من تطوير مهاراتها وتعزيز قدراتها الدفاعية بأسلحة حديثة كانت تفتقدها في السنوات الماضية. وتجلّى ذلك بوضوح في العروض العسكرية المتتالية التي نظّمتها وزارة الدفاع في حكومة الإنقاذ، والقيادات العسكرية في المنطقة المركزية والمناطق الرابعة والخامسة والسادسة، والوية الاحتياط والحماية الرئاسية، وعدد من الكتائب والتشكيلات، للدُفع المتخرّجة من دورات عسكرية نوعية، سواءً في العاصمة صنعاء أو محافظات حجة وذمار وعمران، وذلك منذ منتصف أيار الماضي. إلّا أن العرض الأخير في مدينة الحديدة أوّل من أمس، والذي يُعدّ الأكبر منذ بدء الحرب، بدا مختلفاً ومحمّلاً برسائل متعدّدة إلى «التحالف» ورُعاته الدوليين فضلاً عن العدو الإسرائيلي. إذ شارك فيه أكثر من 25 ألف جندي وضابط من منتسبي المنطقة العسكرية الخامسة والقوّات البحرية و«ألوية النصر» والقوّات الجوية والدفاع الجوي، ليؤكّدوا جهوزيتهم الكاملة لأيّ مواجهة محتملة في سواحل الحديدة أو بقيّة المناطق التابعة للساحل الغربي، والتي جرت استعادتها أواخر العام الفائت. وإلى جانب ضخامة العديد المُشارك، انطوى العرض على دلالات عسكرية متعدّدة، كونه جرى في مدينة استراتيجية ومُشاطئة للبحر الأحمر، وتخلّله الكشف عن قفزة في الإمكانات العسكرية لدى صنعاء، في وقت فشل فيه «التحالف» في دمج الميليشيات الموالية لها في المحافظات الجنوبية.

وتعليقاً على العرض، أوضح زعيم حركة «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، أن هذا الحدث يأتي في أعقاب اكتمال دمج «اللجان الشعبية» التابعة للحركة في إطار قوّات الجيش التابعة لوزارة الدفاع. وأشار إلى أن العروض العسكرية التي بدأت منذ سريان الهدنة في عددٍ من المناطق العسكرية «تَقدّمتها الدُفع المتخرّجة من منتسبي الجيش، فيما هناك عشرات الآلاف من المنتسبين المرابطين في كلّ جبهات القتال». وأكد رئيس «المجلس السياسي الأعلى» في صنعاء، مهدي المشاط، من جهته، خلال الكلمة التي ألقاها بالمناسبة، أن «سيطرة صنعاء على الحديدة وسواحلها مثّلت على مدى السنوات الماضية صمّام أمان لحركة الملاحة الدولية»، معتبراً أن «إجراءات دول العدوان ضدّ حركة الملاحة في البحر الأحمر، واستهداف وجود القوات اليمنية على امتداد الساحل الغربي، هو الذي يشكّل خطراً». كما أكد أن «صناعة طوّرت أسلحتها البحرية والأرضية في الفترة الأخيرة، وباستطاعتها برّاً وبحراً ضرب هدفها في أيّ نقطة في البحر الأحمر وحتى باب المندب». وجاء ذلك في أعقاب استعراض القوّات البحرية المشاركة أسلحة استراتيجية، البعض منها يدخل المعركة لأوّل مرّة، كصواريخ «مندب 1» المطوّر من «كروز»، و«مندب 2» المزوّد بأجهزة متطوّرة، و«فالق 1» المحلّي الصنع، فضلاً عن صاروخ «روبيج» الموجّه من عائلة الصواريخ البحرية المجنّحة، وهو روسيّ الصنع.

وأوضح المتحدّث باسم قوات صنعاء، العميد يحيى سريع، أن «فالق 1» باستطاعته أن يستهدف أيّ نقطة في البحر الأحمر أو البحر العربي بدقة عالية، مؤكداً أن «هناك مفاجآت كبيرة سيعلَن عنها في قادم الأيام». ولفت إلى أن «قوات الجيش لم تُغمض عينها خلال فترة الهدنة، بل جاهزة لصدّ أيّ عدوان». وحول ظهور عدد من المنظومات الصاروخية الروسية في العرض، يبيّن مصدر عسكري في صنعاء، في حديث إلى «الأخبار»، أن قوّات صنعاء تمكّنت في الآونة الأخيرة من إعادة منظومة صواريخ «روبيج» الروسية التي تصنَّف من ضمن فئة الصواريخ الساحلية التكتيكية، وتتميّز بقدرتها على توفير قوّة نيرانية كبيرة في مواجهة سفن العدو، وأيضاً على الحركة بسرعة بصورة تسهم في تعزيز إمكانية التخفّي والمناورة لديها قبل عمليات إطلاق النار وبعدها. ويقدّر المصدر مدى هذه الصواريخ بـ260 كيلومتراً، علماً أنه يمكنها الانطلاق نحو الأهداف البحرية بسرعة 0,85 ماخ، أي أكثر من ألف كيلومتر في الساعة. وبخصوص صواريخ «سام 7»، فيَلفت إلى أنها تتميّز بقدرتها على التخفّي عن رادارات العدو، وبسرعة التصدّي للطائرات المعادية ودقّة استهدافها في ثوانٍ معدودات، معتبراً أن تمكّن قوات الدفاع الجوي اليمنية صنعاء من إعادة تلك المنظومة الروسية التي خضعت لعملية تفكيك خلال فترة ما قبل الحرب بإشراف أميركي، «نجاح كبير سيسهم في تحييد طيران العدوان».

> «فالق 1» باستطاعته أن يستهدف أيّ نقطة في البحر الأحمر أو البحر العربي بدقة عالية

شارك في العرض أكثر من 25 ألف جندي وضابط (أ ف ب)

تقرير

روسيا ـ أوكرانيا: استماتة متبادلة في «زابوروجيا»

تُواصل بعثة «الوكالة الدولية للطاقة الذرّية» زيارتها إلى محطّة زابوروجيا، في محاولة لمنع تفجُّر الوضع في هذه المحطّة، والذي ستكون له تداعيات كارثية على أكثر من مستوى. وبينما تستميت أوكرانيا في محاولاتها استعادة السيطرة على «زابوروجيا»، تتمسّك روسيا بوجودها هناك، بما يخدم مخطّطها الهادف إلى تزويد المناطق الأوكرانية الداخلة في سيطرتها بالطاقة الآتية من المحطّة موضوع النزاع

موسكو - أحمد الحاج علي

لم تكن زيارة وفد «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» إلى محطّة زابوروجيا للطاقة النووية في جنوب أوكرانيا، لمعاينة الوضع عن كثب، في ظلّ تَواصل استهداف القوّات الأوكرانية للمحطّة، هي الحدث الأبرز في يوميّات الحرب هناك، بل تَمثّل هذا الحدث في محاولة قوّات كييف السيطرة على المحطّة في عملية هجومية مباغتة. وبحسب المعطيات المتوافرة، كانت الخطّة الأوكرانية تقتضي بأن تخترق المجموعة الأولى المكوَّنة من قوّات خاصة، محيط «زابوروجيا»، وتقوم بتمهيد الطريق أمام مجموعة ثانية تضمّ 300 مقاتل من كتيبة «أغورا»، مهمّتهم تنفيذ إنزال والسيطرة على سنسول المحطّة الكهرونرية من جهة الشمال الغربي، ومن ثمّ على محيطها وتطويقها بالكامل. أيضاً، اعتمدت الخطّة على تحصُّن القوّة الخاصة في المفاعلات النووية، وانتظار وفد «الوكالة الدولية»، الذي افترض الأوكران وصوله بعد ساعة من سيطرة تلك القوّة على «زابوروجيا». ووفقاً للمعلومات، فقد كان يُفترض كذلك حصول موجة هجومية ثالثة، لكن كييف ارتأت أن الموجتَين الأولى والثانية كافيتان من حيث التكتيك العسكري لإسقاط المحطّة.

والظاهر أنه أريد من هذا المخطّط، وضع روسيا أمام أمر واقع، باستغلال حضور موظّفي «الوكالة الدولية»، وذلك من خلال المطالبة بإعلان «زابوروجيا» منطقة منزوعة السلاح، ما يعني - لو تَحقّق - إفشال مخطّط موسكو في تأمين مصادر الطاقة للمناطق الخاضعة لسيطرتها، والتحكُّم بتلك التي تزوّد المناطق الأوكرانية بالطاقة. ويُضاف إلى ما تَقدّم، أن أوكرانيا كانت تعوّل على نجاح خطّتها في «زابوروجيا»، من أجل الحصول على المزيد من الأسلحة والمعدّات من الداعمين الغربيين. على أن الاستخبارات العسكرية الروسية استطاعت كشف المخطّط الأوكراني. وعلى إثر هذا الكشْف، سمحت القوّات الروسية للقوّة الأوكرانية المهاجِمة بتنفيذ إنزال على ضفاف المحطّة، مُستدرجةً إيّاها إلى كمينٍ محكَم.

في موازاة ذلك، تعثّرت مجدّداً محاولات كييف المتواصلة لاستعادة السيطرة على منطقة خيرسون، حيث تدور المعارك حالياً في جنوب دانيدوفا برودا، في مؤشّر إلى تحضير القوّات الأوكرانية لموجة هجومية ثالثة من المتوقّع حصولها في الأيام القليلة المقبلة. ووفق الخبراء العسكريين، فإن تلك القوات تستميت في الدفاع عن مواقعها المكتسَبة، ما يعني أنها لم تيأس بعد من هذه المعركة. على أن وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو، تحدّث عن أن محاولات الجيش الأوكراني شنّ هجوم على محور ميكولايف - كريفوي روغ واتّجاهات أخرى كبّدته خسائر كبيرة، وأفاد شويغو بأن القوّات الروسية وصلت إلى الحدود الإدارية لمنطقة ميكولايف في منطقة ألكسندروفكا باتّجاه خيرسون - ميكولايف، معتبراً أن الهدف الوحيد للهجوم الجنوبي الأوكراني المضادّ هو «خلق وهم في الغرب بقدرة كييف على مقاومة روسيا».

وتَكشف المعلومات الواردة من مقاطعات وضواحي أوديسا وميكولايف وزابوروجيا، الواقعة تحت السيطرة الأوكرانية، بأن المستشفيات الميدانية على خطّ الجبهة وفي مناطق الدعم اللوجستي الخلفية لم تَعُد قادرة على استقبال المزيد من الجرحى، ما اضطرّ كييف إلى طلب المساعدة الغربية لنقْل عدد من المصابين إلى مناطق في مولدوفا ورومانيا. وعلى هذه الخلفية، طالب القائد العام للقوات المسلّحة الأوكرانية فاليري زالوجني، الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي، بوقف العملية، وفق ما أفادت به معلومات مسرَّبة من قيادة الأركان الأوكرانية. لكن المشاهد المسرَّبة لحشود القوّات الأوكرانية في المنطقة، ونوعية الأسلحة الغربية المستخدمة، تشيان بأن زيلينسكي ليس في وارد التراجع عن قراره استمرار الهجمات وتكرارها حتى استعادة خيرسون، على رغم ما يهدّد به هذا الاستمرار من اهتزاز معنوي في صفوف قوّات كييف في ظلّ غياب أيّ خرق جدّي إلى الآن.

أمّا في محاور منطقة دونيتسك، فتستمرّ عمليات الضغط الروسي المكثّف لتحقيق خرق في خطّ الدفاع الثاني البديل، وهو ما يبدو أن القوّات الروسية اقتربت منه بالفعل، في ظلّ سيطرتها على عقدة رئيسة أمس، ما بين بيرفومايسكايا وبيسكي.

> تستمرّ عمليات الضغط الروسي المكثّف لتحقيق خرق في خطّ الدفاع الثاني في دونيتسك

كانت القوات الأوكرانية تنوي التحضن في المحطة وانتظار وصول وفد «الطاقة الذرية» (أ ف ب)

قضية

آخر الخطوط الفاصلة مع الموت أسرى فلسطين... معارك باللحم الحيّ

«كفى الله الأسرى شرّ الإضراب» الذي كانوا ينوون خوضه بدءاً من أوّل من أمس. وقف ما يقول أسير في سجن نفحة لـ«الأخبار». بعدما اضطرّت سلطات الاحتلال للتراجُع عن إجراءاتها القمعية الأخيرة خوفاً من أن يؤدّي الإضراب إلى انفجار الأوضاع في الأراضي المحتلّة. ويؤشّر هذا المنجز إلى ما راكمه الأسرى من خبرات على مدى سنوات الإضرابات الجماعية التي بدأت منذ ستّينيات القرن الماضي. في منازلة السجّان وإجباره على تقديم التنازلات، في معركة «لا مجال للتنازل فيها» بالنسبة إلى مَن يخوضونها باللحم الحيّ. قاضين بذلك على آخر الخطوط الفاصلة عن الموت

يوسف فارس

ليس اتّخاذ قرار الإضراب عن الطعام في سجون الاحتلال، بالأمر الهيّن. الأمر لا يرتبط بالقدرة على مكابَدة الجوع، بقدْر ما هو قضاء على آخر الخطوط الفاصلة مع الموت، في بيئة تحتاج إلى ما يشبه «صبر أيوب»، لتحمُّل ظروفها الصعبة، وذلك في حال تَوفّرت كامل الامتيازات التقليدية، والامتيازات هنا، ليست سوى إدخال بعض الخُضر الطازجة مع الوجبات، والإبقاء على التلفزيونات التي لا تعرض سوى 6 قنوات، بالإضافة إلى السماح بالمكالمات الهاتفية وإدخال «الكنتينة» بشكل منتظم.

«لقد كفى الله الأسرى شرّ الإضراب»، يقول الأسير في سجن نفحة، «أبو محمد» (اسم مستعار)، لـ«الأخبار»، مُعلّقاً بذلك على منجَز «تحصيل الحقوق قبل بدء الإضراب» الذي كان قد عُقد العزم على الشروع به يوم أوّل من أمس، بمشاركة 1000 أسير في المرحلة الأولى، احتجاجاً على جملة الإجراءات العقابية التي فرضتها إدارة السجون منذ سنوات، وضاعفتها عقب حادثة سجن جلبوع في مطلع أيلول 2021. وبحسب «هيئة شؤون الأسرى»، فإن «الحركة الأسيرة في سجون الاحتلال تمكّنت من الانتصار بتحقيق مطالبها وإلغاء العقوبات، وذلك قبيل ساعات قليلة من البدء في الإضراب المفتوح عن الطعام». وأُعلن عن الاتفاق النهائي بعد جلسة حوار ضمّت «لجنة الطوارئ العليا للإضراب» وإدارة السجون، وانتهت إلى وقْف كلّ العقوبات الإسرائيلية مقابل وقف كلّ خطوات الأسرى، «على أن يبدأ سريان مفعول هذا الاتفاق فوراً، كجملة واحدة غير قابلة للتجزئة».

وكان الأسرى قد صعّدوا من خطواتهم الاحتجاجية اعتراضاً على النقل التعسّفي لأسرى المؤبّدات من الغرف والأقسام والسجون، بشكل دوري. كما شكّل تراجع إدارة السجون عن جملة «التفاهمات» التي تمّت بينها وبينهم في آذار الماضي، وتقضي بوقْف إجراءات التضييق التي فُرضت بعد تمكُّن 6 فلسطينيين من الفرار من «جلبوع» - قبل إعادة اعتقالهم لاحقاً - دافعاً رئيساً لتحرّكاتهم. وردّ الأسرى على تلك الإجراءات بخطوات شملت الامتناع عن الخروج إلى «الفحص الأمني»، وإرجاع وجبات الطعام، بالإضافة إلى ارتداء الزيّ البني (الشاباص)، وإغلاق الأقسام، وحلّ الهيئات التنظيمية. ثمّ كانوا ينوون الإضراب.

الإضراب ليس ترفاً

لا يُعدّ الإضراب عن الطعام خياراً «ترَفياً» للأسرى. هو «إعلان حرب لا مجال للهزيمة فيها»، يقول الأسير «أبو محمد»، مضيفاً: «في العادة، نحن نلتزم بقرار التنظيم الذي ننتمي إليه، ونُواصل معركة الإضراب حتى نهايتها، غير أن اللجوء إلى الإضراب هو خيار اضطراري في نهاية الأمر، إذ يفاضل الأسرى بين الإجراءات العقابية التي يفرضها الاحتلال وتبعاتها على حياتهم اليومية، وبين خوض الإضراب، الذي هو الخطوة الأخيرة التي يُلجأ إليها بعد مفاوضات طويلة». ويتابع: «في العادة، تحدّد قيادة الأسرى شكل الإضراب، وأعداد المطلوب انخراطهم فيه، ثمّ تفتح الباب طوعياً لمَن يريد الانضمام، علماً أن جميع الأسرى يكونون في حالة جهوزية للانضمام في حال تَقرّرت زيادة الأعداد».

وبدأت فكرة الإضرابات المفتوحة عن الطعام منذ نهاية ستينيات القرن الماضي، حيث شكّل إضراب سجن الرملة عام 1969 باكورة الإضرابات الجماعية، واستمرّ قرابة 11 يوماً، طالب فيها الأسرى بتحسين الطعام وزيادة كمّيته، وإدخال القرطاسية، وإنهاء إجراء مناداة السجّان بكلمة «حاضر سيدي»، كما إنهاء منع التجمّع لأكثر من أسيرَين في الساحة، وكذلك زيادة وقت الفورة. وإذ انتهى الإضراب المذكور من دون تحقيق أيّ منجزات، فقد نجح الأسرى في العام نفسه في تنظيم إضراب جماعي في معتقل كفار يونا، بدأ حينها في 1969/2/18 واستمرّ لثمانية أيام، بالتزامن مع آخر في سجن الرملة، نجح فيه الأسرى أيضاً في تحسين بعض ظروفهم، كتغيير الفرشة البلاستيكية التي ينامون عليها، وتحسين كمّية الطعام، وإدخال القرطاسية، وإلغاء جملة «حاضر سيدي» من قاموس السجون. وحتى عام 1980، كان الأسرى قد نفّذوا نحو سبعة إضرابات جماعية، أبرزها في سجن عسقلان عام 1976، حيث استمرّ نحو 45 يوماً، وانتهى بسماح إدارة السجن بإدخال القرطاسية، وتحسين نوعية الطعام، وكمّيته واستبدال الفرشات المهترئة. بالنسبة إلى الأسرى، فإن الإضراب هو حرب باللحم الحيّ. يحفظ هؤلاء أسماء عدد من رفاقهم الذين قضوا خلال الإضرابات الجماعية، وكان أوّلهم الشهيد الأسير عبد القادر أبو الفحم الذي قضى بتاريخ 1970/7/11 خلال إضراب سجن عسقلان، وراسم حلاوة وعلي الجعفري اللذان استشهدا بتاريخ 1980/7/24 خلال إضراب سجن نفحة، ومحمود فريتخ الذي استشهد على إثر إضراب سجن جنيد عام 1984، وحسين نمر عبيدات الذي استشهد بتاريخ 1992/10/14 في إضراب «عسقلان». وبناءً على تلك التجارب، فإن «الإضراب الناجح، هو الإضراب الأقصر في المدّة الزمنية»، يقول الأسير في سجن نفحة، ويواصل: «كلّما طالت مدّة الإضراب، زادت المخاطر الصحّية للأسرى، وتضاعفت فُرص نجاح الاحتلال في تركيز عمليات القمع لإجهاضه، لذا، فإن من المهمّ أن يستخدم الأسرى أعلى مستويات الضغط لتحقيق مطالبهم في أسرع وقت ممكن».

في مواجهة الإضراب

يعمد الاحتلال، عادةً، إلى جملة من الخطوات لكسر إضراب الأسرى، تبدأ باقتحام غرف السجن لمصادرة ما تبقّى فيها من طعام. وفي خطوة لاحقة، يبدأ بمصادرة كلّ ما يجده من ملح يستخدمه الأسرى لتعويض الجسم عمّا فقده. يقول «أبو محمد»: «المِلح هو عنصر غذائي مهمّ، يستخدمه الأسرى لتعويض الجسم وتطهير الأمعاء، لذا يتعامل معه السجان كسلاح لا بد من مصادرته». ويضيف: «في مرحلة لاحقة، تبدأ إدارة السجون بتسخين المياه التي تصل إلى غرف الأسرى المضربين، لدفع الأسرى إلى كسْر إضرابهم». وحين يُظهر هؤلاء مزيداً من العزم، يُضاعف العدو من خطواته القمعية، سواءً بالاعتداء الجسدي، أو بمصادرة كلّ وسائل التواصل و«الترفيه» الموجودة في الغرف من مثل التلفزيونات والراديو، فضلاً عن حرمانهم الاتّصال بعائلاتهم. كما تتّخذ مصلحة إدارة السجون إلى عزْل قيادات الأسرى في سجون منفردة حينما تعجز عن فكّ الإضراب بالوسائل القمعية.

لا مناص من الاتفاق

تبدأ المفاوضات مع الأسرى بعد أن تستنفد إدارة السجون كلّ إجراءاتها القمعية بحقّهم. يقول «أبو محمد» إن «الفارق بين الإضرابات الأولى وإضرابات السنوات الأخيرة، هو مقدار الخبرة التي راكمها الأسرى في تَوقّع خطوات السجّان وتقدير ردّة فعله، والاستعداد لمختلف السيناريوات (...) لذا، فإن أكثر الإضرابات تنتهي بتحقيق الأهداف، لكن كلمة السرّ في ذلك هي بقاء الأسرى موحّدين، خصوصاً أن العدو يستغلّ الانقسامات الحزبية في محاولة كسْر الإجماع، ويعمل على المفاضلة في الامتيازات الممنوحة للأسرى لتعميق الفرقة».

وتجري المفاوضات في الإضرابات المشتركة بين أربعة ممثّلين عن كلّ من «فتح» و«حماس» و«الجهاد» و«الجبهة الشعبية» من جهة، ومصلحة إدارة السجون من جهة أخرى، فيما تحدّد الأخيرة مقدار تنازلاتها بقدْر ما تُبديه قيادة الحركة الأسيرة من صبر وقدرة على مواصلة الإضراب إلى أقصى مدى. ولا تتمّ المفاوضات بالسهولة المتوقّعة، إذ تستغرق وقتاً تتخلّله جولات متتابعة ومشاورات متكرّرة. و«في حال وصلت قيادة الإضراب إلى صيغة تلبّي أهمّ مطالبها، عندها تسمح لها الإدارة بالتواصل مع فصائلها في السجون كافّة، عبر الاتّصال الهاتفي أو من خلال إرسال مندوبين، لإبلاغ الأسرى بالتوصّل إلى اتّفاق لإنهاء الإضراب»، كما يوضح «أبو محمد».

> تبدأ المفاوضات مع الأسرى بعد أن تستنفد إدارة السجون كلّ إجراءاتها القمعية بحقّهم

«هيئة شؤون الأسرى»: «الحركة الأسيرة تمكّنت من تحقيق مطالبها» (أ ف ب)

تقرير

بريطانيا المنهَكة تُبدّل ثوبها: رئيس جديد ... بِلا آمال

في وقت تراكمت الملفّات الاستراتيجية من دون حسم، ظلّت بريطانيا من دون حكومة تُديرها منذ شهرَين. إذ إنّ النُّخبة الحاكمة كانت تأخذ وقتها في انتظار انتخاب الزعيم المقبل لحزب «المحافظين»، والذي سيتولّى منصب رئيس الوزراء. على أن الانتظار سينتهي الإثنين المقبل، حيث سيعرف البريطانيون ما إذا كانت ليز تروس، وزيرة خارجية بوريس جونسون، ستتسلّم مفاتيح «10 دواننغ ستريت»، أو أن رئيسهم الجديد سيكون ريشي سوناك، وزير الخزانة السابق

بوريس جونسون الذي أجبر على الاستقالة بعد تمرّد داخل حكومته في تموز الماضي (أ ف ب)

لندن - **سعيد محمّد**

سيحسم 150 ألفاً من أعضاء حزب «المحافظين» الحاكم في بريطانيا - وهو حزب يميني كلاسيكي يمثّل الأثرياء وكبار الإقطاعيين - مصير البلاد، أقلّه حتى موعد الانتخابات العامّة العادية المقبلة (كانون الثاني 2025)، وذلك عندما يختارون الإثنين المقبل (5 أيلول) رئيساً لحزبهم، يتولّى غُرفاً منصب رئيس وزراء المملكة المتحدة - أعلى مراتب السلطة التنفيذية في النظام البريطاني -، خلفاً للرئيس بوريس جونسون الذي أُجبر على الاستقالة بعد تمرّد داخل حكومته في تموز الماضي. ويشكّل هؤلاء، لو أقدموا جميعاً على التصويت، أقلّ من 0,32% من مجموع الناخبين المسجَّلين في بريطانيا (حوالي 47 مليوناً)، لكنهم وحدهم يمتلكون الآن القدرة على اختيار الرئيس الجديد بفضل الأغلبيّة المُريحة التي يتمتّع بها الحزب في مجلس العموم (النواب) منذ الانتخابات العامّة الأخيرة في عام 2019.

وبعد عدّة جولات من التصفيات، استُبعد فيها عدد ممّن تقدّموا بالترشّح لتولّي المنصب من خلال تصويت نوّاب «المحافظين» في البرلمان، ستنتخب قاعدة الحزب مباشرة الآن، واحدةً من شخصيّتين بقيتا في السباق. وتبدو ليز تروس، وزيرة خارجية حكومة جونسون، المرشّح الأوفر حظّاً (وفق أحدث استطلاعات الرأي) من بينهما لتسلُّم مفاتيح «10 دواننغ ستريت» (مقرّ الرئاسة في لندن)، فيما المرشّح الآخر، ريشي سوناك، وزير الخزانة السابق لا يزال مع ذلك الأكثر شعبيّة خارج الحزب، ولا سيّما في دوائر المال والأعمال في لندن. وتنافس تروس وسوناك لاستقطاب الأصوات في حملات رئاسية مملّة، عبر سلسلة من المناظرات التلفزيونية، كما اللقاءات المباشرة بالناخبين في الدوائر التي يهيمن عليها «المحافظون» تاريخياً - وهي بمجملها مناطق تتّسم بالثراء النسبي وغلبة الأكثرية البيضاء عليها -.

واضطرّ المرشحان المفتقران إلى الكاريزما الشخصية أو الأفكار السياسية الخلّاقة، إلى تغيير مواقفهما عدّة مرّات حول كمّ كبير من الملفّات الاستراتيجية التي تنتظر الحسم، ناهيك عن أفضل السبل لإدارة عاصفة الأزمات التي تُمسك بخناق البلاد، وتدفع بها إلى حافّة صراع طبقي مفتوح. لكن الجليّ أن سوناك يبقى الأكثر قدرة على إقناع دوائر المال والأعمال، بما فيها بنك إنكلترا المركزي، بكونه الأقلّ سوءاً في هذه المرحلة الأصعب من تاريخ بريطانيا المعاصر؛ وذلك بحُكم تخصصه المهني، وخبرته كوزير للخزانة، وتصريحاته المتحفّظة بشأن إدارة مرحلة الركود. أمّا تروس فأرادت أن تلعب دور مارغريت تاتشر جديدة، من دون أن تمتلك أيّاً من أدوات الرئيسة الراحلة التي كانت أدارت التحوُّل نحو الاقتصاد النيوليبرالي خلال فترة عصيبة أخرى نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي. ولعلّ فرصة تروس للفوز بالمنصب مردّها حصراً إلى أنها إنكليزية بيضاء، فيما سوناك بريطاني من أصول هنديّة، وهو أمر لا يتم التداول به علناً، لكنه قد يكون العامل الحاسم في خيارات أغلبية الـ150 ألفاً من ناخبي «المحافظين» - وأكثريتهم من الذكور ذوي البشرة البيضاء -.

> لا أحد متفائل بنقلة نوعية في السياسات، أو بالخروج عن الإطار العام الذي اتّبعته الحكومات المتعاقبة

وبغضّ النظر عن شخص الرئيس العتيد الذي سيُعرف بعد أيّام قليلة، فلا أحد متفائل بنقلة نوعية في السياسات، أو بالخروج عن الإطار العام الذي اتّبعته الحكومات اليمينية المتعاقبة التي حكمت البلاد بعد تاتشر - بما فيها تلك التي شكّلها حزب «العمل» أيضاً -، ويقضي بتبنّي نهج نيوليبرالي يخدم مصالح رأس المال على حساب مؤسّسات الدولة والقطاع العام، والتموضع في سوق تقسيم العمل الدولي وفق الإرادة الأميركية. لا بل يُخشى من أن يستفحل دهاقنة النُّخبة الحاكمة، الظروف الاقتصاديّة الضاغطة لاتّخاذ إجراءات أشدّ ضراوة في اتجاه تحرير الأسواق، وربّما إنهاء وجود القطاع العام في الهيئة الصحّية القومية، معقل الفقراء الأخير في هذه البلاد. وسيتعيّن على الرئيس الجديد تشكيل حكومة في وقت قياسي، بالنظر إلى فترة القيلولة التي طالت لشهرَين في ظلّ حكومة تصريف الأعمال الشبَحيّة الطابع، ما راكم على طاولته جملة من الملفّات الاستراتيجية والعاجلة التي تنتظر الحسم.

ويأتي الاقتصاد وأزمة ارتفاع تكاليف المعيشة على رأس هذه الملفّات، إذ تُعاني المملكة أسوأ تضخُّم منذ الحرب العالمية الثانية، وبما يفوق كلّ الدول المجاورة، فيما من المتوقّع أن تغرق في مرحلة ركود اقتصادي تستمرّ لعامَين على الأقلّ، وفق تقديرات بنك إنكلترا المركزي. وتريد تروس أن تقضي على التضخّم من خلال إدخال تخفيضات ضريبية تُعادل أكثر من 30 مليار جنيه استرليني سنوياً، وسحب صلاحيات من تفويض البنك المركزي، فيما يعتقد سوناك أن ذلك سوف يعمّق من حالة الركود، محذراً من أن المسّ باستقلال البنك المركزي بشأن تحديد أسعار الفائدة سيكون «خطأ» يسمح للمضاربين باستهداف أُسس الاقتصاد البريطاني، داعياً إلى ما سمّاها «العودة إلى القيم الاقتصادية التقليدية للمحافظين».

الملفّ الآخر العاجل، هو معالجة آثار الإدارة السيئة لاتفاق خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (بريكست)، ولا سيّما في ما يتعلّق بمشروع قانون بروتوكول إيرلندا الشمالية، والذي من شأنه في حال اعتماده، مخالفة الاتفاق المبرم مع بروكسل، وإشعال حرب تجارية مع الشريك الاقتصادي الأهمّ للمملكة. وتعهّدت تروس، في حال انتخابها، بإلغاء جميع التشريعات المستمَدّة من الاتحاد الأوروبي بحلول نهاية عام 2023، إذا تبيّن أنها تعيق النموّ الاقتصادي للمملكة المتحدة، بينما لا يخفي سوناك مخاوفه من الانعكاسات السلبيّة للتورّط في مثل هذه الحرب ضد الأوروبيين، وفي هذا الوقت بالذات.

وترتبط بهذا الملفّ أيضاً قضايا الأقاليم الخاضعة لحُكم لندن المركزي، والتي قد تلتهب قريباً، كما في إيرلندا الشمالية حيث حالة من الشلل السياسي، أو في أسكتلندا الساعية لإجراء استفتاء شعبي على الاستقلال. وليس هناك أيّ ود بين تروس ودعاة «إيرلندا موحّدة» في بلفاست؛ أو نيكولا ستيرجن، الوزيرة الأولى في أسكتلندا، والتي يقود حزبها (القومي الأسكتلندي) الحملة للاستقلال عن لندن والانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. أمّا سوناك فيريد تفعيل سياسة اشتباك إيجابي مع الأقاليم الغاضبة، متعهّداً بفعل «أيّ شيء وكلّ شيء» للحفاظ على تماسك الاتحاد.

ويظلّ ملفّ الهجرة حاضراً أبداً، ولا سيّما بعد فشل القضاء البريطاني في منع الحكومة من استخدام منهجيّة إعادة ترحيل اللاجئين إلى رواندا، حيث يواجهون خطر المعاملة السيّئة والتعذيب وربّما الموت. وتقول تروس إنها تريد بناء شراكات أخرى على نسق البرامج مع رواندا، وزيادة عديد القوات التي تراقب حدود بريطانيا، وتضييق الخناق على عصابات المهرّبين، فيما يريد سوناك خطّة متكاملة لإدارة مسائل اللجوء بالتنسيق مع البرلمان. وعلى رغم اتّفاق المرشّحَين على ضرورة التزام بريطانيا بتصفير صافي انبعاثات الكربون بحلول عام 2050، إلّا أن كليهما يفتقد إلى رؤية واضحة لكيفية تحقيق ذلك. وتُضاف إلى ما تُقدّم مسائل داخلية أخرى تُردّد الرئيس المستقبل في حسمها دائماً، ومنها ما يتعلّق بإصلاح التعليم بمختلف مراحله بما فيه الجامعي، وإعادة تنظيم القطاع الصحّي، كما أجندات تعزيز النمو المتوازن في المناطق خارج العاصمة المتورّمة. وهذه وغيرها تحتاج إلى برامج عمل مكثّف لتعديل التشريعات وتوفير استثمارات مليارية في البنية التحتية المتهالكة.

إذن، رئيس وزراء جديد في بريطانيا منذ الإثنين القادم، ومن ثمّ حكومة جديدة، لكن لا أحد هنا متفائل لا بشخصية الرئيس ولا بما قد تأتي به هذه الحكومة، التي غالباً ما ستَدخل التاريخ كمتعهّدة شراء وقت لتمديد هيمنة المحافظين على السلطة حتى انتخابات 2025.

تقرير

العراق يستعيد هدوءه: الجميع في انتظار «المحكمة»

يتوقّف تطوّر الأحداث في العراق، على قرار «المحكمة الاتحادية العليا»، المرتقب صدوره الأربعاء المقبل، في الدعوى التي تقدّم بها «التيار الصدري» أمامها، مطالباً بحلّ مجلس النواب المنتخَب في تشرين الأوّل الماضي، بداعي تجاوزه المهل الدستورية في انتخاب رئيس جديد للجمهورية، ومن ثمّ تكليف حكومة من الكتلة البرلمانية الأكبر. وفي انتظار استصدار القرار، تراجعت لهجة السجال السياسي، مارخى مزيداً من الهدوء على الشارع العراقي

بغداد - **سُرى جِنّاد**

مثّلت عطلة يوم أمس الجمعة في العراق، والتي كانت، في الأسابيع الماضية، مناسبة لتصعيد التحرّكات في الشارع، فرصةً لالتقاط الأنفاس، وسط تراجُع السجال السياسي الذي أعقب الأحداث الدامية التي حصدت عشرات الضحايا، لا سيما في ظلّ التحضيرات لإحياء أربعينية الإمام الحسين. وفيما لم يَظهر ما يشير إلى تحقيق اختراق على نحو يعيد دفع عجلة الحوار السياسي في المرحلة المقبلة، فإن تحديد «المحكمة الاتحادية العليا» موعداً لإصدار قرار في دعوى حلّ مجلس النواب، حتّم على الجميع انتظاره، نظراً إلى تأثيره الحاسم في مسار التطوّرات، كيفما جاء.

على أن اللافت هو أن «الإطار التنسيقي» بعث بمزيد من المؤشّرات إزاء نيّته التعاطي بإيجابية مع «التيار الصدري» ربطاً بقرار المحكمة، على الرغم من أن التيّار كان قد واصل هجومه على فصائل «الإطار» فرادى، واستمرّ في طرْح المطالب التي تتناول خصوصاً تلك المسلّحة منها. وفي هذا المجال، يقول القيادي في «تحالف الفتح»، غضنفر البطيخ، لـ«الأخبار»، إن «كلّ حالة من الحالات التي يمكن أن يَصدر فيها قرار المحكمة الاتحادية لها رأي مختلف؛ فإذا تمّ ردّ الدعوى، فبالتأكيد سيكون هناك اتفاق سياسي على تشكيل الحكومة بالتوافق مع التيار الصدري حتى لو كان خارج البرلمان، وإذا تمّ حلّ المجلس، فالأمور هنا تختلف، ولكن أيضاً سيكون هناك اتفاق سياسي على شكل الانتخابات وتوقيتها مستقبلاً، خصوصاً أن حُكماً كهذا سيُحدث فراغاً تشريعيّاً».

ويلفت إلى أنه «في السياسة كلّ شي وارد، خصوصاً أن أبواب التفاوض هي الملاذ الأخير، وأيّ طريق آخر محفوف بالمخاطر ومدمِّر للشعب العراقي. بالتالي يتعيّن على كلّ الأطراف تقديم تنازلات».

وكان «وزير القائد» قد طالب، في آخر بيان له، مساء أوّل من أمس، بتغيير رئيس الهيئة السياسية لـ«الحشد الشعبي»، فالح الفياض، «لأنه متحزّب ورئيس كتلة، وهذا ما يسيّس الحشد المجاهد، ولأنه لا يمتلك شخصيّة قوية ولا ذهنية عسكرية، وهو غير مؤهّل للمنصب». كما دعا إلى «استصدار أمر حازم بحلّ الفصائل التي تدّعي المقاومة، وهي تُعتقل أبناء الشعب، وإخراج جميع الفصائل ومعها الحشد من المنطقة الخضراء، ومسْكها من قِبَل القوى الأمنية البطلة، وإبعاد الحشد عن السيطرات والمنافذ الحدودية حفاظاً على سمعة المجاهدين التي تمّ تشويهها في الآونة الأخيرة».

ومع ذلك، تعزّزت الأجواء الإيجابية على الساحة العراقية، بالموقف الذي أعلنه خطيب جمعة طهران المؤقّت، محمد جواد حاج علي أكبري، حيث أكد أن «الحكومة الإيرانية تتطلّع إلى تشكيل حكومة مستقرّة في العراق»، مضيفاً أن «طهران وكما في السابق، لن تتردّد في تقديم أيّ مساعدة لتوفير الأمن والرفاهية للشعب العراقي»، مشيراً إلى الأحداث الأخيرة في العراق بالقول إن «هذا البلد شهد على أعتاب أربعينية الإمام الحسين حوادث كادت أن تترك آثارها على مراسم الأربعين، إلا أن الموضوع تمّت تسويته بفضل جهود المجاهدين والمؤمنين العراقيين».

إعلانات رسمية

إعلان من أمانة السجل العقاري في جبيل

طلب شربل حنا روحانا بوكالته عن جهاد شحاده الحباقي اصدار سند تمليك بدل عن ضائع على العقار رقم 325 القسم 9 بلوك8 من منطقة قرطبون العقارية قضاء جبيل.

للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان من أمانة السجل العقاري في جبيل

طلبت السيدة لمى جوزيف يونان بوكالتها عن زكية ناصيف بصبوص بوكالتها عن فوزي بطرس صليبا بوكالته عن كميل نجيب عاد اصدار سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 384 من منطقة شامات العقارية قضاء جبيل.

للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان من أمانة السجل العقاري في كسروان

طلب سمير أحمد دنا بصفته وكيل جمال عثمان الدنا بصفته أحد ورثة المرحوم عثمان مصباح الدنا سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 838 من منطقة فاريا العقارية قضاء كسروان.

للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في كسروان
راني حيدر

إعلان من أمانة السجل العقاري في كسروان

طلب حبيب طانيوس الحكيم سند تمليك بدل عن ضائع في العقار 163 من منطقة بلونه العقارية قضاء كسروان.

للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في كسروان
راني حيدر

وفيات

بسم الله الرحمن الرحيم
إنّا لله وإنّا إليه راجعون
بمزيد من الأسف ننعى إليكم كبيرنا وفقيدنا
المرحوم
محمد فارس فيّاض
المُنتقل إلى رحمة الله تعالى في الولايات المتحدة الأميركية
حيث صُلّي عليه...
زوجته: سامية نجيب حلاوي
أبناؤه: رشيد، زوجته هلا صالحة
كميل، زوجته ديمة أبو علوان
ابنته: سميرة أرملة المرحوم تيد وودنغ
شقيقاه: المحافظ حليم، زوجته نجوى سلمان
صلاح، زوجته عائدة فيّاض
شقيقاته: المرحومة صالحة زوجة المرحوم ملحم عبد الخالق
المرحومة زهية زوجة المرحوم سليمان أبو صعب
لبيبة زوجة الشيخ توفيق أبو علوان
تُقام صلاة الغائب عن روحه الساعة الحادية عشرة من يوم غد الأحد الواقع فيه 4 أيلول 2022 في قاعة آل فياض - صوفر.
تُقبل التعازي بعد الصلاة يوم غد الأحد من الساعة الرابعة بعد الظهر حتى الساعة السابعة مساءً في منزل شقيقه حليم، ويومي الإثنين والثلاثاء الواقع فيهما 5 و6 أيلول في منزل شقيقه حليم في صور.
نظراً للظروف الصحية الراهنة وتماشياً مع توصيات مشيخة العقل والمشايخ الأجلّاء، عائلة الفقيد تتقبّل التعازي على الأرقام التالية:
حليم: 70/874828
نجوى: 03/883844
لبيبة: 03/644675
لكم من بعده طيب البقاء.
الأسفون: آل فياض وعموم أهالي صوفر ومجدلبعنا.

الأخبار
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

استراحة

كلمات متقاطعة 4113

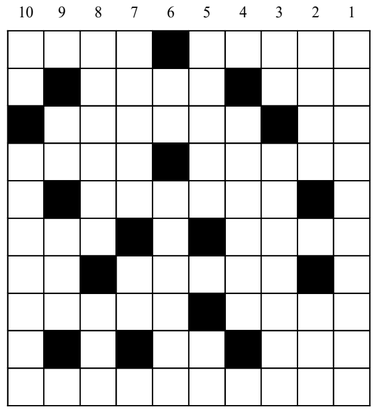

أفقيا

1- عاصمة عربية - مدينة فرنسية 2- من مشتقات الحليب - جزيرة يونانية 3- حرف نصب - منطقة سكنية في جبيل 4- دولة عربية - وكالة أبحاث الطيران والفضاء الأميركية 5- الوهم والمظهر الخادع في وضح النهار 6- ممثلة مصرية معتزلة - أظلم الليل 7- مدينة في كوريا الشمالية - إله مصري 8- مدينة في البيرو على بحيرة تيتيكاكا - ماركة سيارات 9- ضمير منفصل - نوتة موسيقية - 10- شاعر جاهلي إشتهر بالكرم

عمودياً

1- مؤذن النبي 2- يعمّر البيت - عكسها كبير آلهة السومريين 3- دق الجرس - لقب نساء إنكليزيات 4- مدينة إيطالية 5- إحدى الولايات المتحدة الأميركية - إسم موصول 6- خنزير بري - مبالغ نقدية لتأسيس مشروع 7- عاصمة أوروبية - ضمير متصل 8- يتواصل ويستمر - صفا اللون 9- أصل البناء - انحطاط وهبوط المستوى 10- بحر - من أرقى المناطق السكنية في القاهرة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- طولون - غوته - 2- هنيبعل - رون - 3- ابا - رن - 4- سروال - لوسي - 5- يئن - هملايا - 6- نبّ - حملقت - 7- إثم - السيخ - 8- قلقاس - وا - 9- يندب - أيم - 10- رولان غاروس

عمودياً

1- طه حسين - قطر - 2- ون - رئبال - 3- ليمون - ثقيل - 4- وب - حمانا - 5- نعالهم - سدن - 6- لب - ألم - بغ - 7- اللقلق - 8- ور - واتس - أر - 9- تونسي - يويو - 10- هنري الخامس

sudoku 4113

			6		9			
			1	5	2			
				8				
	6	4	5		8	7		
	7	5				1	6	
		3	2		7	5	9	
7				9			2	3
8			4	7	1	9		
	9	6	3		5	8		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4112

3	1	8	6	4	9	2	7	5
6	4	7	1	5	2	3	8	9
5	2	9	7	8	3	6	4	1
9	6	4	5	1	8	7	3	2
2	7	5	9	3	4	1	6	8
1	8	3	2	6	7	5	9	4
7	5	1	8	9	6	4	2	3
8	3	2	4	7	1	9	5	6
4	9	6	3	2	5	8	1	7

مشاهير 4113

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثلة ومخرجة وكاتبة فرنسية. إكتسبت شهرتها عالمياً من خلال دورها في فيلم «أوغاد مجهولون». نالت وسام الفنون والآداب الفرنسي

7+6+5+3+4 = أطول أنهار العالم ■ 9+2+1+11 = ماء عذب ■ 8+10 = للندبة

حل الشبكة الماضية: **لبنى العليان**

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

بريد الأسرى

أضيفت إلى أجندة العالم مناسبة جديدة، يمكن أن يتكلّم عنها جد لأحفاده في أقاصي العالم. نيل ستة أسرى حريتهم بالملعقة، ليس الفعل مجازياً أو تخيلياً، هذا ما حصل داخل أعتى معتقلات إسرائيل المسمى «جلبوع»، حيث نجح ستة أسرى بالكسر. الكسر الذي لم يقم منه الكيان حتى اليوم، ولن يقوم، فالسؤال عن كيف فعلوها، سؤال سيبقى يدور ويدور في رؤوس ساسة إسرائيل ولن يتمكن أحد في العالم أن يجيب عن السؤال، إلا من ناضل أو يناضل من أجل الحرية في فلسطين وكل العالم. عام على ذكرى «نفق الحرية» النفق الذي رأت الشمس منه حرية الإنسان

ذكرى جلبوع الحاضرة

موسى جرادات

في فجر السادس من أيلول من العام الماضي، استفاقت فلسطين على خبر، استفاقت على حجر، ستّة أسرى من سجن جلبوع، تحرّروا من الأسر، والاحتلال في صدمة، ولأول مرة منذ سنوات، الفلسطينيون في فرح عارم، في الداخل والشتات، والاحتلال فاقد للقدرة، عاجز عن التفسير. بأدوات بدائية، تمكّن الأسرى الستة من حفر نفق الحرّية، وخرجوا من السجن الحصين الذي أعدّ لهم كمقبرة. البطولة هي عنوان اللحظة، والاحتلال مسكون دوماً بمفهوم البطولة، فهو وحده المتفوّق كما يدّعي، وهو وحده القادر على الإنجاز، والقادر على السيطرة، فرار الأسرى أفقده كل ذلك، وأجبره على إعادة النظر بكل ادعاءاته؛ ليشكل لجنة تحقيق، ليفهم كيف حدث كل هذا؟ يخلي السجن من الأسرى ويذهب مسرعاً لتفتيش كل السجون، بحثاً عن أنفاق أخرى.

سنة تقريباً، مرت على عملية نفق الحرية وتحرّر أسرى جلبوع، تحلّ علينا، وتحلّ معها الذكريات، هي محاولة ربما لم يكتب لها النجاح الكامل، لكنها حققت الكثير من أهدافها، ومن يعرف المحتل كيف يفكر، وكيف يدير أموره نحو الأسرى الفلسطينيين، يدرك مدى التأثيرات التي تركتها تلك المحاولة في وعيه، والسؤال الكبير الذي لا يزال مشرّع الأبواب، كيف تمكّن الأسرى الستة

> الاتجاه يسير عكس مشتهى الاحتلال، الأسرى اليوم موحّدون مسكونون بالأمل، فالجميع اليوم ملتفّ حولهم

من تنفيذ مخططهم؟ سؤال يطرحه صنّاع القرار السياسي والأمني على أنفسهم، وهم يحاولون تلمّس الإجابة، لكنها إجابة خاطئة، فالعقل الأمني للاحتلال يحاول تقديم إجابة حول عملية الفرار بالمعنى المادي، الملموس والمحسوس، بينما سؤال الدافع الفعلي يغيب لديهم تماماً، لأنه سؤال يعرّي الاحتلال أمام نفسه، فالحرية كقيمة عليا ليست موجودة في قاموسه، فيفترض أن الأسرى الفلسطينيين يفتقدون الحيوية الإنسانية، وعليهم الخضوع لقدر صنع وتربى بأيديهم.

بفزع الاحتلال، ستة من الأسرى غادروا زنزانتهم قبل طلوع الفجر، غادروا بملء إرادتهم من دون استئذان، بقرار الحرية، وبفعل واع ومنظّم ودقيق، محمول بقرار وتخطيط وتنفيذ، بعدما استعدوا سنة كاملة، حفظوا السجن عن غيب وحفظوا السجان، عرفوا نقاط ضعف المكان، وضعف السجان، وهنا برز الوعي الفلسطيني الذي يخشاه الاحتلال، ويحاول تجنبه.

أبناء الأرض استعانوا بها، فحفروا عميقاً في الأرض، لأيام وأشهر، ليلاً ونهاراً يتناوبون على العمل، التعب جزء من مهمة البحث عن الحرية، والسجّان غافل أعمى، يفتش الزنزانة يومياً، ولا يجد شيئاً أمامه، مغافلة ناجحة عن جدارة وتستحق الثناء، والأسرى يعدّون أنفسهم للخروج، يطوّعون أجسادهم ليخرجوا من فتحة النفق.

محمود العارضة، زكريا الزبيدي، أيهم كممجي، محمد العارضة، يعقوب القادري ومناضل انفيعات، أسماء ستة، حفظناها عن ظهر قلب. ففي السادس من أيلول من العام الماضي، تمكنوا من انتزاع حريتهم، والخروج من نفق الحرية، في رحلة استمرت عدة أيام، مشياً على الأقدام، تنقلوا في سهل بيسان، مرّوا على مرج بن عامر، ثم صعدوا أعلى جبال الناصرة، دوّنوا رحلتهم، أكلوا من ثمار الأرض، ووصفوا لنا طعمها، وافترشوا الأرض وناموا، كانت فلسطين هي الحقيقة الماثلة أمامهم، لم تعد فكرة، ففي رحلة الحرية ترى فلسطين كاملة دون نقصان، فلسطين بأهلها كانت معهم، تنتظر أخبارهم، لعلّهم وصلوا إلى مبتغاهم، والعدو المستنفر بجنوده وعتاده يقلب الأرض بحثاً عنهم. الاستنفار الذي عمّ شمال فلسطين، يوحي بأن حرباً كبرى اندلعت، الطائرات تحوم بالمكان، شرطتهم وجنودهم، وآلياتهم، ووحداتهم الخاصة، قصاصي الأثر، الكلاب البوليسية، كل هذا، وأربعة أيام بلا خبر جديد، سوى تمكّن الستة من الخروج من قلعة أمنية كانت تفاخر بها دولة الاحتلال. الاحتلال الذي يفقد صوابه، ويعيد طرح السؤال من جديد، كيف فعلها الأسرى؟ سؤال يحبس الأنفاس، والإجابة في ذلك الوقت محبوسة ومطوية في صدور الأسرى.

أيام قليلة من الحرية، لكنها بعمر الأسرى سنوات طوال، هكذا وصفوها، محمود العارضة العقل المدبر لنفق الحرية كان العنوان، ربع قرن داخل السجن لم يثنه عن التفكير، الحرية قصيدته التي تلاها قولاً وفعلاً، لم تنجز المهمة تماماً، ولم تكتمل تماماً، بعد إلقاء القبض على الأسرى، لكن ما حصل، أن الستّة، حفروا عميقاً في ذاكرة شعبهم ووجدانه. فبأيام قليلة، كانت الكتائب المسلحة تتشكل في كل المدن والمخيمات والقرى وعلى امتداد الضفة، أعاد الأسرى الأحرار بفعلهم رسم خريطة الوطن من جديد، كسروا أوهام الانقسام، لهذا كان الاحتلال يدرك خطورة ما فعلوه، وتأثيره على وعي الشعب الفلسطيني، تحت عنوان الفعل المقاوم هو المعادل الموضوعي للحرية والحياة، لهذا يستمر السجّان بعقابهم إلى الآن، ويستمرون هم بتحدّيه.

التحدّي المستمر

يدخل الأسرى، نحو ألف منهم، مرحلة الإضراب عن الطعام، وأول مطالبهم إخراج الأسرى الستة من زنازين العزل الانفرادي، إضراب الأسرى عن الطعام قد يعمّ كل السجون قريباً، ولهذا الإضراب خصوصيته، فالشعب الفلسطيني، وكل قواه ملتفّة حولهم، ترعاهم وتساندهم، لهذا أجهزة أمن الاحتلال تقدّر في تقاريرها أن انتفاضة كبرى ستعمّ الضفة الغربية إذا استمر إضراب الأسرى، انتفاضة مسلحة عنوانها الأسرى، كل هذا بفعل أبطال نفق الحرية.

ويبقى السادس من أيلول من العام الماضي محطة فاصلة في تاريخ الأسرى، وضعت قضيتهم على رأس الأولويات لكلّ الفصائل الفلسطينية المقاتلة، قضيتهم هي جدول الأعمال في أي تفاوض على تبادل الأسرى، وعلى رأسهم أبطال نفق الحرية الستة، الذين اكتووا بنار السجان، فبعد حادث فرارهم، استهدفت عائلة كممجي واستشهد شاس شقيق أيهم، كذلك عائلة الزبيدي، باستشهاد داود شقيق زكريا، فضلاً عن منع عائلاتهم من زيارتهم حتى هذه اللحظة، فيما الأسير يعقوب القادري يعاني أمراضاً خطيرة، ترفض مصلحة السجون علاجه. هذا الكمّ الكبير والهائل من الضغط على الأسرى وعائلاتهم هدفه الوحيد عزلهم عن بيئتهم وجعلهم عبرة كما يعتقد الاحتلال. لكن الاتجاه يسير عكس مشتهى الاحتلال، الأسرى اليوم موحّدون مسكونون بالأمل، فالجميع اليوم ملتفّ حولهم، يعيش ويتابع ويتفاعل مع قضيتهم؛ وكيف لا، وهم عنوان الكفاح الفلسطيني الدائم والمستمر منذ عقود.

في الذكرى نستلهم العبر

قبل 35 عاماً من الآن، استفاقت غزة على وقع خبر مفرح، بعدما تمكّن ستة أسرى من انتزاع حريتهم والفرار من سجن غزة المركزي، أيام وأشهر والعدو يبحث عنهم، ويبحثون عنه، فلم يكتفِ الستّة في ذلك الوقت بالهرب والاختباء، بل سنّوا سنة جديدة، حيث تقدموا الصف، قاتلوا واستشهدوا في «معركة الشجاعية» في السادس من تشرين الأوّل عام 1987، وتحوّلوا إلى رموز وأيقونات تركت بصمتها. فبعد شهرين من استشهادهم، كانت فلسطين على موعد جديد، تستعيد وعيها بفعل انتفاضة الحجارة التي اندلعت شرارتها على بعد أمتار من مكان استشهاد أبطال معركة الشجاعة، وعمّت الانتفاضة الوطن وانخرط فيها الكل الفلسطيني. وبعد حادثة سجن جلبوع، أعاد أبطال نفق الحرية البوصلة إلى وجهتها، فها هي الضفة الغربية تقف على مرجل يغلي، فالأسرى حاضرون رغم الغياب، هم جزء أصيل من مكونات الشعب الفلسطيني، ينحتون بالأمهم طريق الخلاص، فحريتهم المسلوبة جزء من الحرية الكبرى المسلوبة من أبناء شعبهم، قاتلوا وتقدموا الصفوف، وقدّموا زهرة شبابهم داخل قلاع السجن، فتحوّلوا إلى القدوة، سكنوا كل درب، وسلاحهم الإضراب عن الطعام، والتحرّر من الأسر إذا استطاعوا إليه سبيلاً.

غداً سيأتي محمود إلى عرابة يطوف عليها بيتاً بيتاً، يعود إلى حضن أمه، حاملاً إليها العسل، كما أراد، بيديه ليداوي به أوجاعها. يأتيها وهو يدرك أن جيلاً جديداً تربّى على هذا الوعي، وقد حمل الراية، فهو أمام حقيقة ثابتة، «إمّا فلسطين وإما النار جيلاً بعد جيل» ستبقى حقيقة ثابتة.

(رؤوف الكرابي)

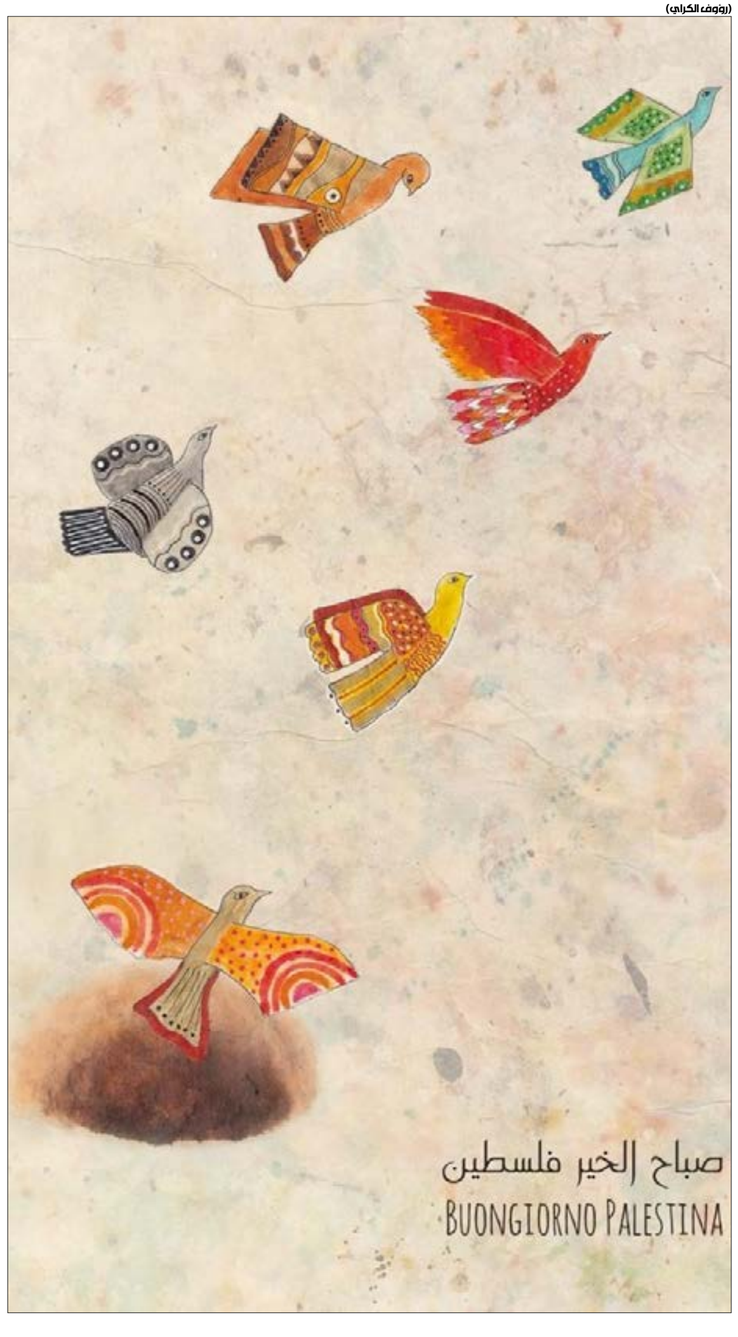

«نفق الحرية» أشرف رجالاً وبنادق

أحمد العبد

نجحت عملية نفق الحرية بأن تكون من أكثر عمليات المقاومة تعقيداً وصعوبة في العقود الماضية. خلقت العملية تداعيات أمنية وسياسية وعسكرية، ليس داخل كيان الاحتلال فقط، وإنما في الشارع الفلسطيني. لا تزال تفاعلاتها مستمرة حتى اليوم، وفي تصاعد. فقد استطاعت هذه العملية كسر هيبة أمن الكيان الصهيوني، وحولت أجهزة استخباراته إلى أضحوكة أمام العالم، لفشله المركب، بداية من جهله بنوايا الأسرى ومخططهم في الهروب من السجن، وجهل أي تفاصيل عن عمل الأسرى الممتد عبر أشهر في حفر النفق، تبعها فشل آخر في ملاحقة الأسرى لأيام في مناطق ساقطة أمنياً، تنتشر فيها دوريات الجيش والشرطة، وكاميرات المراقبة، وطائرات الاستطلاع، من دون أن يحظى الأسرى بأي نوع من المساعدة. وأكثر من ذلك، استطاع اثنان منهم الوصول إلى جنين مجتازين العراقيل والحواجز الأمنية كافة.

وفي الذكرى السنوية الأولى لنفق الحرية، تبدو الصورة اليوم أكثر وضوحاً إزاء التداعيات التي خلقتها العملية في الشارع الفلسطيني، وأهمّها تنامي المقاومة المسلحة في مدن الضفة الغربية التي انطلقت شرارتها الأولى من مخيم جنين، عقب العملية.

شكلت معركة «سيف القدس»، التي بدأتها المقاومة الفلسطينية في غزة أيار 2021، بقصف مدينة القدس بعدة صواريخ، واستهداف دورية عسكرية قرب حدود غزة بصاروخ كورنيت، فرصة أمام مجموعة من المقاومين في مخيم جنين للبدء بالعمل العسكري المقاوم، إسناداً لغزة، وتأثراً باتساع رقعة المواجهة في الضفة الغربية والداخل المحتل. ولعب الشهيد جميل العموري، دوراً كبيراً في التأسيس للعمل المقاوم في مخيم جنين، وهو عمل استمر واتسع حجمه وزخمه بعد استشهاده في 10 حزيران في اشتباك مسلح مع قوات الاحتلال في شارع الناصرة بمدينة جنين. وأسهم العموري، الذي بدأت قوات الاحتلال مطاردته مع مجموعة من «سرايا القدس» بعد «سيف القدس»، في تشكيل خلايا عسكرية ليس في مخيم جنين فقط، بل في مدن أخرى مثل مدينة نابلس، التي شهدت أيضاً في ما بعد ولادة خلايا مقاومة، وعلى إثر ذلك لقّب بعد استشهاده بـ «مُجدِّد الاشتباك» لدوره في تحفيز الشبان على تنفيذ عمليات إطلاق النار، والاشتباك مع الاحتلال.

وإذا كانت «سيف القدس» قد شكلت البيئة المناسبة لولادة مشروع المقاومة من جديد في الضفة الغربية، إلا أن عملية نفق الحرية، كانت السبب المباشر في تأسيس عمل عسكري منظم وموسع، استطاع فرض معادلة في ما بعد ولا يزال كذلك.

وعلى ضوء عملية نفق الحرية، وما فرضته من حاجة إلى توفير حماية للأسرى، أُعلن في أيلول 2021، للمرة الأولى، عن تشكل «كتيبة جنين»، وهي الظاهرة التي انتقلت سريعاً إلى مدن أخرى كنابلس، وشجعت الكثير من الخلايا العسكرية في بلدات وقرى الضفة على الانتقال للعمل المقاوم كما حدث في سلواد ومخيم بلاطة وروجيب.

وعبّرت «كتيبة جنين» في بيانها العسكريّ الأول عن استعدادها للانضمام إلى «معركة الأسرى»، باحتضانهم في المخيّم والدفاع عنهم. وعلى مدار الأيام التي تلت العملية، وملاحقة الاحتلال للأسرى، نفّذت الكتيبة ما أطلقت عليه «فعاليات الإرباك»، التي تمثّلت في تنفيذ عمليات إطلاق النّار على الحواجز المحيطة بمدينة جنين، والخروج في مسيرات عسكرية داخل المخيّم، لإسناد الأسرى، ولتشتيت تركيز الاحتلال في البحث عنهم.

خلقت عملية نفق جلبوع حالة نضالية عارمة، في محافظة جنين التي ينتمي إليها الأسرى الستة، بينما سلّط الضوء على مخيم جنين الذي ينحدر منه أحد أبطال العملية، وهو الأسير زكريا الزبيدي، قائد «كتائب شهداء الأقصى»، في ظل تحريض الإعلام العبري عليه، والزعم أن هدف الأسرى هو التوجه إلى المخيم والتحصن فيه، نظراً لوجود مقاومة يمكن أن تسهم في حمايتهم.

ودفعت عملية «نفق الحرية» أجنحة المقاومة المسلحة في المخيّم للتوحد من جديد، استعداداً لمواجهة كبيرة كانت تلوح في الأفق، نظراً لتهديدات الاحتلال باجتياح المخيم بشكل واسع، بالإعلان عن إحياء «غرفة عمليات مشتركة» للمقاومة على غرار ما كان قائماً خلال معركة 2002، وأعلنوا «النفير العام» دفاعاً عن الأسرى والاستعداد لمواجهة أي اقتحام لمخيم جنين.

وفي ضوء ذلك، المناخ المتنامي بالفخر والمقاومة، داب المقاومون في مخيم جنين على تنظيم مهرجانات التأبين للشهداء، وتنظيم مسيرات عسكرية، بمشاركة مسلحين من «سرايا القدس»، الجناح العسكري لحركة «الجهاد الإسلامي»، و«كتائب شهداء الأقصى»، الجناح المسلح لحركة «فتح»، و«كتائب عز الدين القسام»، الجناح المسلح لحركة «حماس»، في وقت كان المخيم يشهد بين فترة وأخرى اشتباكات مسلحة عنيفة مع قوات الاحتلال.

نجحت عملية «نفق الحرية» في تسليط الضوء على مظلومية الأسرى الفلسطينيين؛ وكما بعثت الدم في شرايين المقاومة في الضفة الغربية، وزرعت الإرادة، استطاعت تعزيز صورة المقاومة في غزة، التي خرجت قبل عملية النفق بعدة أشهر بصورة المنتصر القوي من معركة «سيف القدس»، لترسخ صورتها وجدواها حين أكدت أن أسرى «نفق الحرية» باتوا على رأس قائمة الأسرى المطلوب تبادلهم في أي صفقة تبادل محتملة.

لقد راكمت عملية نفق الحرية على بناء الوعي الجمعي وذاكرة المقاومة، وجدوى مواجهة الاحتلال، بخاصة لدى الأجيال الصغيرة الذين لم يعيشوا أحداثاً جساماً كما الانتفاضة الثانية، وزرع أبطال العملية في الشارع الفلسطيني، معنويات كبيرة وشعور بالنصر والعزة والقوة، على الرغم من اعتقالهم لاحقاً، وقد تنامى ذلك النفس المنتصر بما كتبه الأسرى لما عايشوه خلال أيام حريتهم.

وأعادت عملية «نفق الحرية» الوهج للحالة النضالية لمدينة جنين ومخيمها، بالتزامن مع عودة العمل العسكري فيه، مع تحريض الإعلام العبري والمستويات الأمنية الإسرائيلية ضده، وإطلاق مصطلح «عش الدبابير عليه» والتحريض لاجتياح المخيم وتنفيذ عملية شبيهة بالسور الواقي 2002، الأمر الذي دفع فصائل المقاومة في غزة، للتهديد والتلويح بتدخلها على غرار معركة «سيف القدس»، فارضة معادلة جديدة للاشتباك، كان مخيم جنين أحد مدخلاتها.

> أعادت العملية الوهج للحالة النضالية لمدينة جنين ومخيمها

وقال عضو المجلس الثوري لحركة «فتح»، الأسير المحرر جمال حويل «إن عملية نفق الحرية جاءت بينما الشعب الفلسطيني يعيش حالة إحباط بسبب انسداد الأفق السياسي، وظروف الانقسام والوضع الاقتصادي العام، فجاءت عملية نفق الحرية لتعطي للشعب الأمل ونفس البطولة والنجاح». ورأى أن عملية نفق الحرية، أكدت أن الأسرى في سجون الاحتلال لا يفكرون إلا في الحرية، وكما قال الزبيدي «إن الذين لا يفكرون بالحرية لا يستحقونها، ولا يستحقون أن يكونوا مناضلين»، ولذلك كانت عملية النفق، بمثابة أمل للأسرى ولشعبنا، إذ استطاعوا، رغم قلة الإمكانيات، من قهر الاحتلال وإجراءاته الأمنية المشددة، وتجاوز سجن جلبوع ذو الترتيبات الأمنية العالية جداً. واعتبر حويل أن عملية «نفق الحرية»، بلورت وعياً جمعياً لدى شعبنا، بأنه قادر على العطاء والنجاح بشرط الإعداد والتوحد، كما أثبتت أن الاحتلال هش ولديه نقاط ضعف كثيرة، إذا تم استغلالها، يمكن اختراقه وهزيمته. وأشار إلى أن جنين كانت تاريخياً عاصمة المقاومة، والحاضنة لكل عمل مقاوم ضد الاحتلال، لذلك سعى الاحتلال بعد عملية نفق الحرية إلى ضرب روح المقاومة، من خلال عمليته التي سمّاها «جز العشب» ومن بعدها «كاسر الأمواج»، بهدف عدم نقل نموذج جنين إلى مناطق أخرى، لكن النتيجة نراها اليوم في مخيم بلاطة والبلدة القديمة في نابلس، وفي روجيب وسلواد وطوباس، التي تحولت إلى نقاط مقاومة ساخنة لا تقل عن مخيم جنين. ولفت إلى أن أرضية العمل المقاوم في مخيم جنين موجودة، وكذلك الوعي الجمعي لدى الناس بضرورة المقاومة وأهميتها والتمسك بها، وجاءت عملية «نفق الحرية» لإزالة الغبار عن المقاومة التي كانت بحاجة إلى إرادة لتنطلق، فجاءت العملية وزرعت هذه الإرادة والدافعية والشجاعة لدى المقاومين.

ومع حلول الذكرى السنوية الأولى للعملية، لا يزال أبطالها داخل السجون يتعرضون لعمليات قهر وتنكيل واسعة من قبل سلطات السجون، في محاولة لكسر إرادتهم، من دون أن ينجحوا في ذلك. إذ يقول مهندس العملية محمود العارضة في آخر رسائله «نحن في العزل الانفرادي داخل زنازين العدو نسير على الجمر من دون أن نخاف الحرق، قلوبنا تتألم لتحرير فلسطين، نطالب بالحرية وسنحصل عليها رغم أنف العدو عن قريب».

وفي خارج السجون، لا تزال تداعيات «نفق الحرية» تتسع مقاومة وفدائيين وبنادق، حيث سجلت عمليات إطلاق النار في الضفة منذ بداية العام حتى شهر آب رقماً قياسياً، بواقع 60 عملية إطلاق نار، بينما شهد العام الماضي تنفيذ 50 عملية إطلاق نار، وعام 2020 نحو 48 عملية.

البلاد

بريد الأسرى

رائد السعدي
أمّي «مريم الفلسطينية»

موسى جرادات

رائد السعدي، حكاية الصبر الفلسطيني الذي تجلّى في حكاية لا تزال تنسج فصولها على وقع احتلال يعادي الإنسانية. وعلى الرغم من أن الأسير الرهينة رائد السعدي، الذي دخل قبل أيام عامه الـ 34 في الأسر، يروي سيرته تحت عنوان «أمي مريم الفلسطينية» التي صدرت مطلع العام الجاري. إلا أن تلك السيرة التي كتبها في محبسه لا تعطيه حقه، لأنه الراوي المضحي بكامل سنوات شبابه، ففي نهاية هذا الشهر يطوي 33 عاماً في الأسر.

ويعلل الأسير رائد أسباب الكتابة، بأن هذه التجربة «إعلان لتحطيم كل القيود والحدود الوهمية التي أرهقتنا، لأكتب واوثق تجربتي، كما حدثت على مدار اثنين وثلاثين عاماً». كان من الممكن أن تنتهي حكاية رائد مع الأسر، مع قيام السلطة الفلسطينية، فضمن الاتفاقيات الموقعة، أقرت دولة الاحتلال بإطلاق سراح كل الأسرى الموجودين في سجونها ومعتقلاتها، إلا أنها ماطلت في إخراج بعضهم، وبعد مرور أكثر من ربع قرن من الاتفاق لا يزال حوالى 30 أسيراً يرفض الاحتلال إطلاق سراحهم.

ومما بين رواية رائد وفلسطين، تحضر الأم التي حملت كل العبء وتحملت كل الآلام، في مسيرة تجاوزت أكثر من ألفي عام، فهي خزّان الذكريات الذي لا ينضب وهي مشعل الأرض المقدسة، من مريم الفلسطينية أم المسيح إلى مريم نابلس والقدس وغزة، إلى أم رائد التي فارقت الحياة قبل سنوات وهي على أمل اللقاء به، ففي هذه اللحظة يقول رائد «طلبت من أخي أن يضع جهاز الاتصال بالقرب من أمي، أودعها، طلبت منها مسامحتي لغيابي عنها كل هذه السنين».

يتنقل رائد في سيرته بين المريميات، يمر عليهن واحدة واحدة، يقطف من كل بستان وجع مريمنا الأولى، ويحفر على صخر ذاكرتنا أسماءهن، كي لا ننسى. في سيرته، «أمي مريم الفلسطينية» يخصّص رائد مكاناً لهن يحضن فيه وجعه، ويحمل صبره وإيمانه زاداً للصمود في بئر يوسف الحالي الذي لا قاع له ولا نهاية، ينتظر بعض السيارة، لتفتح السيرة على فصل جديد، فعلى «الأرض ما يستحق الحياة».

في الأسر، يعني نقيض الحرية، الزمن، الأحداث، والوجوه، والأشخاص، تتكرر، ويبقى العقل وما يحتوي شاهداً على ملحمة فلسطينية لم يشهد تاريخ الإنسانية جمعاء مثيلاً لها. فهذا الاحتلال السادي من رأسه حتى أخمص قدميه يعتاش على قهر أهل الأرض، يمارس توحشه، ويختبئ خلف روايته التلمودية، ليبرر ساديته، ففي عام 2014، وفي خضم مفاوضات كانت تجري بين السلطة وحكومة بنيامين نتنياهو، لم يفرج الاحتلال عن الدفعة الرابعة والأخيرة، بعد أن تعهد بالإفراج عن 104 أسرى من ما قبل أوسلو، أفرج عن 74 منهم، ثم أقفل الباب على البقية من إخوة رائد.

يقترب أكثر وهو يحاول أن يخترق الجدران، الذاكرة وحدها قادرة أن تهزم واقع الزيف الذي يبنيه الاحتلال، وكل أسير يدرك ذلك، فكل فلسطيني لديه حكاية مع الاحتلال، لكن الأسرى لديهم حكايتهم الخاصة، ولكل منهم طريقته في التعبير عنها، تجتمع فصولها لترسم لوحة من الألم والمعاناة، كل بمقدار، تحت الاحتلال، أنت في الأسر، في مدينتك تحت حظر التجول، أنت في الأسر، في معتقلاته، أنت في الأسر، داخل المعتقل مراتب، في زنزانة التعذيب أو زنزانة العزل الانفرادي، وكثرت الحكايات كثيراً، فمنذ عام 1967 عايش تجربة الأسر في معتقلات الاحتلال، أكثر من نصف مليون فلسطيني أغلبهم من الشباب، لأيام ولأشهر ولسنوات.

> الذاكرة وحدها قادرة أن تهزم واقع الزيف الذي يبنيه الاحتلال، وكل أسير يدرك ذلك

رائد، كما يروي، بدأ مسيرته النضالية الكفاحية عام 1985 بعد الانضمام للعمل المسلّح السري، حيث انخرط في صفوف حركة «فتح»: «التحقت بالفعل المقاوم عن طريق قيادي فلسطيني أسير محرر اسمه أبو علي شاهين».

قاد خليته التي نفذت عدة عمليات عسكرية استهدفت المستوطنين، لم يقف الأمر عند هذا الحد، فبعد سنوات قليلة، اندلعت انتفاضة الحجارة، انخرط فيها ليتمّم سيرته الأولى في تجربة علنية، ويتحول بعد أشهر قليلة إلى مطارد من قوات الاحتلال، التي بدأت رحلة البحث عنه، سنتان ورائد في حاضنته الشعبية يعيش ويتنقل وينام، كل ليلة في بيت من بيوت قريته سبلة الحارثية، لم تمنعه المطاردة من قيادة النشاطات الشعبية التي شارك بها الجميع، لكن نموذج إعلان الحارثية منطقة فلسطينية محررة، واستخدام سماعات المساجد كأداة تواصل بين الجميع، تماماً كما الإذاعة في لحظة الحرب، كانت التجربة الخاصة والإبداعية التي لعب رائد دوراً أساسياً في تشكيلها، وأنا ابن قريته، شاهد على ذلك مع من تبقى من أبناء جيلي.

سنتان ورائد في رحلة المطاردة التي عجز فيها الاحتلال من الوصول إليه، تمنع رائد من محاولة العيش وأن يبقى قريباً من العائلة، التي تحمّلت عبء عشرات الاقتحامات لمنزلهم، واعتقال الإخوة والوالد للضغط عليه لتسليم نفسه، حيث يشير رائد إلى ثبات الوالد، ورفضه الإفراج عنه مقابل أن يسلم ابنه نفسه للاحتلال. ويضيف: «أرسل لي من داخل السجن أن لا أوافق على تسليم نفسي». ما أعظم موقف الرجل، وقد قرأت له مقابلة صحافية قبل أشهر وهو يتحدث عن آخر أمنياته، وهي أن يخرج ابنه رائد من الأسر، ليحتضنه ويضمه، بعد أن فقد بصره قبل سنوات، فيما يمضي يعقوب الفلسطيني منتظراً ريح يوسف لعل البصر يرتد إليه.

في الأسر يريد الاحتلال أن يتوقف الزمن عند الأسير، عبر تحويل آدميته وإنسانيته إلى مجرد لحظة عابرة، ومهمة الأسرى على الدوام، وفي صراعهم اليومي المفتوح مع السجان أن يبقى حضوره الإنساني، ففي السجن ينهي الثانوية العامة ويلتحق بالجامعة، ويتخرج، ويبدأ بالدراسات العليا، يشارك الأهل والأقارب أفراحهم وأتراحهم، عبر الاتصال بالهواتف النقالة المهربة إلى السجن، وقد زاد الإبداع عند الأسرى في السنوات الأخيرة، بالنطف المهربة التي أحيت الحياة مجدداً، وصار للأسرى أبناء وهم خلف القضبان.

إن إطالة أمد الأسر، له فلسفة خاصة لدى العقل الاحتلالي، فهو لا يعاقب الأسير فقط، بوضعه في السجن داخل الأسوار، بل يطال الأهل عبر سلسلة من العقوبات التي لا تنتهي، خاصة أثناء زيارة الأسير والتي أصبحت في السنوات الأخيرة نادرة. وقد تكون العقوبة بحق الأسير، وقد تكون أيضاً بحق الأهل، عبر ما يسمى المنع الأمني، حيث تحرم الأم من زيارة ابنها تحت هذا البند. يروي رائد قصة حدثت مع الأسير أيهم كممجي، عندما منع الاحتلال أمه من زيارة أيهم، واشترطوا عليها أن تطلب منه، كتابة استرحام، كي تتمكن من زيارته، ولم تكن تدرك أم أيهم أهداف الطلب، وبعد أن بيّن لها أيهم أن الطلب رسالة اعتذار عما فعل، قالت لأيهم عبر الهاتف «بغضب عليك إذا فعلت ذلك»، هذا موقف مريم مرة أخرى يتجلى. وبعد سنوات من وفاة والدة أيهم، تمكن من التحرر من سجن جلبوع، قبل أن تتمكن سلطات الاحتلال من اعتقاله وإعادته إلى السجن. أيهم يقول في إحدى لقاءاته مع والده أنه حقق أمنياته أثناء التحرر من الأسر، باستثناء أمنية واحدة، وهي عدم تمكنه من زيارة قبر والدته.

تمتد الفلسفة الاحتلالية، لترسم لكل الشباب الفلسطيني صورة المحتل الحقيقية، لمنعهم من السير على طريق من سبقوهم من الأسرى، وعلى الرغم من كل ممارسات الاحتلال طوال سنوات وجوده على الأرض الفلسطينية، بقي الأسير يمثل صورة البطل والقدوة وعنوان الوجود وجدوى المقاومة في ذهن كل شباب فلسطين.

رائد في «أمي مريم الفلسطينية» يحفر على كل الوجع، ويمضي، لكنه يعزّي نفسه بمواقف كثيرة جعلته قادراً على الصمود، وعلى رأس تلك المواقف يروي رائد في سيرته الذاتية (روايته)، كيف أرسلوا رسالة إلى الشهيد فتحي الشقاقي، رسالة نقدية وقوية طالت حتى شخص الشهيد فتحي، ليأتيهم رد الشقاقي على الرسالة، طالباً منهم الصبر والصمود خاتماً رسالته بالقول «لا والله حتى تروا دمي على صدري». يشير رائد إلى مدى تأثير تلك الرسالة عليه حتى يومنا الراهن، فالقائد الشقاقي كان عند قسمه، وهذا هو القائد التاريخي الذي يختار وينحاز لخيار الشعب، ليلتحق بقافلة الشهداء.

ثائر حماد
في جعبة «القناص» مزيد من الرصاص

أحمد العبد

لم ينته الرصاص من جعبة الفدائي الأسير ثائر حماد (42 سنة) من بلدة سلواد قرب رام الله، على الرغم من مضي 18 عاماً على اعتقاله، فقد أطلق حماد «صلية جديدة من الرصاص في وجه الاحتلال» عندما أعلن من داخل سجنه عن روايته الجديدة «فارس وبيسان» في حفل أقيم في بلدته قبل أيام.

وحماد يُعرف بين الفلسطينيين بـ«القناص»، وقد اكتسب هالة مقدسة نظراً للعملية المعقدة التي نفذها بمفرده في آذار 2003، ضد الحاجز العسكري الإسرائيلي بين مدينتَي رام الله ونابلس، في منطقة «وادي الحرامية» التي تمكّن فيها من قتل 11 جندياً إسرائيلياً، وجرح 6 آخرين، 3 منهم كانت إصاباتهم خطرة قتلاً، حتى قيل إن أياً من رصاصاته لم تُخطئ هدفها، ولولا انفجار بندقيته لما توقف عن قنص الجنود، فنهض ونفض الغبار عن يديه وعاد إلى منزله ونام بهدوء.

لم تفتت سنوات الاعتقال والعزل والتنكيل من عضد وعزيمة ثائر، وإيمانه بالمقاومة طريقاً للحرية والخلاص، وعلى نقيض كل الكتّاب الذين يحتفون بإصداراتهم الأدبية باحتفالية يجتمع فيها الأصدقاء والمتابعون، ويحظون فيها بالأضواء والمقابلات الصحافية، كان حماد يحتفي بروايته الجديدة من خلف القضبان، بعيداً من والدته وأصدقائه، بينما حضرت كلماته القليلة التي قال فيها «إن إطلاق روايتي اليوم ما هي إلا صلية جديدة أطلقها في وجه هذا الاحتلال الجبان الذي يقتل ويهدم ويقتلع ويعتدي ويتغطرس - إنه الاحتلال الذي قتل ابنة بلدي الشهيدة مهدية وقتل أيضاً الإعلامية الإنسانة شيرين أبو عاقلة ومئات الأطفال الأبرياء من أبناء شعبنا الأبي».

وقال حماد «أؤمن يقيناً أن مقاومة الاحتلال ممكنة ومتاحة في كل الظروف والأمكنة، فلا شيء يمكن أن يحول بينك وبين أن تعبر عن رفضك وتمردك على الاحتلال، فالفضاءات واسعة، والآفاق رحبة إذا توافرت النية والإرادة، ولعل تجربة الأسر خير دليل على ذلك، إذ أن المتمعن في تجربة الحركة الأسيرة، يجد أن إسهاماتها في استمرار مسيرة الكفاح الوطني شكّلت عاملاً حاسماً في استمرار الثورة، وما الذي أقوم به الآن ومعي الكثيرون المناضلون الأسرى إلا تأكيداً على أن جبهة مقاومة الاحتلال أوسع مما يتوقع البعض، فكل إنسان تواق للحرية، يستطيع أن يقوم بعمل من شأنه أن يقصّر من عمر الاحتلال، وأن يقوّض دعائمه، فإنهاء الاحتلال لن يتم بالضربة القاضية، وإنما من خلال نضال شمولي تراكمي سيؤدي حتماً إلى دحره وزوّاله».

> تقول والدته رحمة حماد لـ«الأخبار» إن ثائر يمر بظروف صحية صعبة، ورغم ذلك يحرص على الاتصال يومياً بها

لم يكسر الاعتقال والتحقيق وسنوات العزل إرادة حماد، فالهدف لا يزال واضحاً في عين القناص، وهو مقاومة الاحتلال في كل ساحة وطريقة، وهو ما دفعه إلى إكمال دراسته الثانوية العامة (التوجيهي) في سجون الاحتلال، التحق بعدها بالدراسة الجامعية، ليحصل على درجة البكالوريوس في الخدمة الاجتماعية، ليبدأ في الكتابة والتأليف داخل الأسر، حتى رأت رواية «فارس وبيسان» النور أخيراً.

ولد حماد في بلدة سلواد عام 1980، ومنها اكتسب معاني الصمود والعناد والتحدي والاستعداد الدائم للتضحية، كما يقول هو، فترعرع في ربوعها وتعلّم وكبر في أزقتها، وتكرست في قلبه معاني الانتماء، وفي جبالها حمل بندقيته والقيم الثورية التي استمدها من الثقافة الجمعية في بلدته، متأثراً بجده قدورة حماد الذي علمه القنص، ومشعلاً وقود الثورة والمقاومة في صدره من الحكايات عن عمه الشهيد نبيل حماد.

يعاني حماد من ظروف حياتية وصحية صعبة داخل معتقل عسقلان، فهو يشتكي من ظفر في عينه اليمنى منذ عام 2014، أي خلال فترة اعتقاله، وقد أجريت له فحوصات مراراً وتكراراً في عيادة سجن الرملة، وعيادة إيشل، وكثيراً ما أوصوا بضرورة إجراء عملية لعينه، وذلك لازدياد حالتها سوءاً، إذ أصبح يعاني من غباش وضعف في الرؤية، إضافة إلى معاناته من عدة مشاكل صحية أخرى، بينها مشكلة الديسكات في الظهر. كما تصنف «إدارة السجون» الأسير حماد بوصف «ساجاف»، أي أن سلطات الاحتلال تعتبره أسيراً خطيراً وتتخوف من هروبه.

وتقول والدته رحمة حماد لـ«الأخبار» إن ثائر يمر بظروف صحية صعبة، ورغم ذلك يحرص على الاتصال يومياً بها كي يطمئن على صحتها وأحوالها، لافتة إلى أنه يتعرض بشكل دائم للتنقل والعزل، وهو ما دعاه في شهر تموز للطلب مني عدم زيارته، خشية من نقله من سجن عسقلان قبل الزيارة. وتمنع سلطات الاحتلال أشقاء وشقيقات ثائر من زيارته، وتكتفي بوالدته فقط.

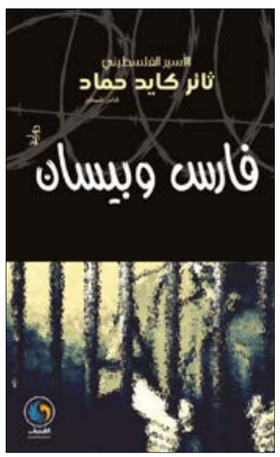

تندرج رواية «فارس وبيسان» تحت راية أدب السجون، وهي عمل أدبي وطني، أخلاقية، اجتماعية بامتياز، مكتوبة ببساطة، مليئة بتفاصيل موجعة داخل السجن وخارجه. نثر حماد على صفحاتها إحساس ومشاعر السجين، والأمل الذي يعتريه. وتؤرخ الرواية أيضاً لجزء من مرحلة عاشها حماد، تمتد من انتفاضة الحجارة حتى يومنا هذا، مسجلاً فيها عذاب الأسرى في سجون الاحتلال والعزل، وتحديهم للاحتلال.

وقال رئيس نادي الأسير قدورة فارس لـ«الأخبار» إن الرواية متعددة الأغراض، وأحد أهم دلالاتها رؤية ثائر حماد المناضل لدوره في السجن بعد الاعتقال، وهي تحمل رسالة حب وتعاضد، تتحدث عن مناضل فلسطيني، وكيف تأثر بالاحتلال وجرائمه وانحيازه لوطنه انطلاقاً من مسؤولية المشاركة في عملية النضال التي دفع ثمنها بالاعتقال، مجسداً أن رحلة المناضل لا تنتهي بالاعتقال، فهو يكتب ليغني أدب السجون، من خلال تفاعلهم مع هموم شعبهم ورفد مسيرة الثورة والأدب والفكر. ولفت فارس إلى أن ثائر تعرض للتحقيق بعد إصدار روايته، وخلال التحقيق معه أجرى ضباط الاحتلال حواراً معه للوقوف على أفكاره، وإن كان قد أعاد النظر بها بعد 28 عاماً على اعتقاله، حيث أكد لهم أن المشكلة تكمن لديهم وهم الذين يجب أن يعيدوا النظر في موقفهم، بحيث يرحلون.

ونظرة ثائر للصراع بسيطة، واضحة، مختصرة؛ إمّا نحن أو هم على هذه الأرض، إذ يقول الأسير المحرر عصمت منصور لـ«الأخبار»، وهو الذي عايشه في سجون الاحتلال، «ثائر لديه نظرة صقر ثاقبة وقوية، تعكس شخصيته وثقته بحاله، وهو إنسان بسيط، متواضع هادئ جداً، لا تشعر به، لا يثير ضجيج حوله، ولا استعراض، لديه شهامة نادرة، وصفات الرجولة والأصالة».

ويشترك منصور مع ثائر في كونه أصدر روايات ومجموعات قصصية داخل سجون الاحتلال، مشيراً إلى أن الكتابة تعني الكثير للأسير، بخاصة إذا كان محكوماً لسنوات طويلة، فهو يتعلم ويتثقف وينتج، ودليل على إرادة الإنسان وقوته ومدى الأمل لديه، ورغبته في التواصل مع الناس وترك بصمة في الحياة، معتبراً أن إصدار الأسرى للكتب والتأليف علامة حياة وقوة وتفوق أخلاقي لدى الأسرى، لأن العمل الأدبي والروائي بحاجة لحس إنساني ومرهف، وهو نقيض الصورة التي يحاول الاحتلال تصويرها عن الأسرى بأنهم وحوش ودمويون.

وتابع منصور: «حين تعيش مع ثائر تشعر أنه قادم من زمن آخر، كريم الخلق، وصاحب مبدأ لا يتنازل عنه، ورجل مستقيم ومقاييسه الأخلاقية عالية جداً، ولديه نظرة مبسطة وواضحة ومختصرة للصراع، إما نحن وإما هم».

ويشرح ثائر في مقابلة سابقة له كيف تبلور النضال لديه، إذ يعود ذلك إلى العام 1991 عندما جرى اغتيال عمه نبيل وكان عمره 11 عاماً، يقول هو ذلك «كان لاغتياله الأثر الكبير في مقاومتي للاحتلال، فخلال جنازته، رفعت العلم الفلسطيني بشكل عفوي، فحملني الشبان ورفعوني على الأكتاف لأصبح بمستوى النعش، وكم أثرت فيّ كلمات ذلك المقنع وهو ينعى عمي معاهداً إياه على مواصلة المشوار والسير على الطريق نفسه حتى النصر».

ويضيف: «خلال الانتفاضة الأولى، اختلط عليّ مفهوما القلم والحجر، وكنت ما زلت في المدرسة آنذاك، فاستبدلت الألعاب بالحجارة، أرجم بها جنود العدو خلال التظاهرات والاحتجاجات، وأشعر بثورة تتفجر في صدري، وبأن الحجر وسيلة للرد على جريمة الاحتلال بقتله عمي بوحشية، إذ أنه أصيب في قدمه، فألقى الجنود القبض عليه، ثم رموه من أعلى قمة الجبل ليتدحرج نحو الشارع حيث وضعوه في المركبة العسكرية وانهالوا عليه ضرباً، وخصوصاً على موضع الإصابة، وشرعوا في تكسير عظامه، مثلما كان قد أمرهم يتسحاق رابين الذي كان وزيراً لجيش الاحتلال، قبل أن يصبح رئيساً للحكومة، وأخيراً أعدموه بثلاث رصاصات في صدره، فارتقى شهيداً مغدوراً بتلك الوحشية والسادية اللائقتَين بعقلية الاحتلال الصهيوني الإجرامية».

35 عاماً على اغتيال ناجي العلي
ماذا لو كنتُ حنظلة؟

بلال الطبعوني

أيقونيّة هي شخصية حنظلة، التي ابتكرها رسام الكاريكاتور الفلسطيني الشهير ناجي العلي. كان الرجل صاحب نظرة بعيدة، حين ربط المعاناة الفلسطينية، بحالة اللجوء، ونهاية تلك المعاناة بالعودة، لا سواها. الناظر إلى الظروف التي رافقت خروج حنظلة إلى الحياة، سيفهم كيف تحولت الشخصية إلى حالة فلسفية عميقة، تُصور الهجرة القسرية، مع ما رافقها من شظف العيش، وضيق سبله، لا سيما مع صبي صغير اسمه ناجي، هُجِّر بعد عشر سنوات فقط، قضاها في فلسطين، وسجلت ذاكرته فيها كل مخاض الوداع المر لبلاده، ليَأنف ناجي بعد ذاك، العمر خارج وطنه، ويوقِف عقارب الساعة عن الدوران، ويُبقي حنظلة ابن سنوات عشر، آخذاً عهداً على نفسه، أن لا تزيد أو تنقص، طالما بقي بعيداً من مهد أجداده.

اليوم، وبعد عقود على تلك الملحمة، كان من الطبيعي أن تتطور صورة حنظلة بالشكل، من دون أن يعني ذلك البتة تبدّلاً في المضمون الذي ولدت من أجله شخصية ذلك الصبي. الظروف غير الطبيعية ما زالت تتحكم بـ«حنظلة» الإنسان، الذي لا يزال مواطناً بلا وطن، وأرضه محتلة، أيّ قطر من أقطار البسيطة نزل. حنظلة يمثل كل لاجئ فلسطيني، في داخله ندبة من مأساة طويلة، ليس على وجه الأرض مثيل لها، إذ لا يوجد شعب يحُول احتلال دونه ودون أرضه، إلا الشعب الفلسطيني. ثم بعد ذلك، أي شيء أصعب من أن ينسلخ الإنسان عنوة عن مهد أجداده، من دون أن يكون بإمكانه العودة إليه، وأي شيء سيعوضه عن ذلك الألم، حتى وإن فتحت الدنيا برمتها يديها له.

كل ما سبق، إجابة مختصرة، عن سؤال فلسفي عميق للغاية: «ماذا لو كنت حنظلة؟»، الفرق بين المظهر والجوهر شاسع على العموم، لكنّ الحالة سواء، لا فرق جوهرياً بين حنظلة الأمس واليوم، صحيح أن الجيل الرابع للنكبة الفلسطينية لم يعد يلبس ثياباً مرقعة، ولا يمشي حافي القدمين، لكن الرقاع باتت في داخله، يستر بها نزيف روحه على فلسطين، وقدماه من داخل الحذاء، تتشققان من الركض وراء زمن، أدار ظهره لفلسطين وقضيتها.

أجيال النكبة المتلاحقة، تجاوزت جميعها السنوات العشر، التي أوقِف عمر حنظلة عندها، لكن الفلسطيني الصغير في كل جيل، يجد نفسه يشيخ باكراً، وهو يبحث عن ذاته، ويواجه الظروف الصعبة، تعليماً وطبابة وعملاً ومعيشة، لا سيما في مخيمات اللجوء، حيث صعوبة الحياة لا تختلف كثيراً عن أولئك الذين وجدوا أنفسهم فجأة في خيام. الفرق فقط، أن الخيام تحولت إلى ألواح معدنية، ثم إلى سقوف إسمنتية. لكن داخل كل تلك المنازل، معاناة متجددة، بعناوين متعددة.

اللاجئ الفلسطيني اليوم، بات معروف الوجه، مكشوف المحيّا، لكنه يستمر بإدارة ظهره للتسويات والخيانات والحلول الخارجية، ولا يرتضي لفلسطين بدلاً، أيّاً كانت المغريات والعطاءات والوعود والبدائل، ورغم أن اللاجئ نفسه، فك عقدة يديه، وهو لزوم ما يلزم مع الزمن، غير أن ذلك لم يغيّر من حنظلة الحالة شيئاً، ألا وهي اللامبالاة بالاحتلال في الداخل، والتضييقات في الخارج، بل إن الفلسطيني، تخطى بإرادته كل صعب، ليسجل حضوراً استثنائياً في كل الميادين، تماماً كما كان حضور حنظلة خاصاً، وترك بصمته إلى اليوم، في الوجدان الإنساني الحي.

يولد كل فلسطيني، وفي داخله وجع، لا يعلم مصدره، وندبة لا يدري مَنشأها، وجرح غائر مجهول السبب، وحزن يدفعه للبكاء على أي شيء، حتى إذا كبر وأصبح واعياً، علم من سياقات الحياة أن سبب كل ذاك وطن مسلوب اسمه فلسطين، وأن أصل حياته معاناة، وأجدادٌ منهم من قتل، ومنهم من هُجر، ومنهم من بقي يترقب الموت في أي لحظة.

لا ريب أن ناجي العلي كان يعلم أن في كل فلسطيني، مهما طال الزمان أو قصر، بعضٌ من حنظلة، قليلاً كان أم كثيراً. وهو في الغالب، ما ساعد تلك الشخصية، على أن تبقى حية، رغم تقلبات الزمن، ودورة الوقت، بل وأن تتربع على عرش الكاريكاتور الفلسطيني، والكوميديا السوداء، وهي مكانة لناجي لم تدانيها مكانة، على اعتبار أن كل من جاؤوا بعده، على تمكّن الكثيرين منهم، لم يستطيعوا أن ينظّروا للوجع الفلسطيني، بالشكل الذي اختصره حنظلة.

الأخبار
al-akhbar
السبت 3 أيلول 2022 العدد 4717

مؤتمر

حدث غير مسبوق في أربعينية الحسين

العراق: مؤتمر دولي يلبّي «نداء الأقصى»

«مؤتمر نداء الأقصى الدولي» هو اسم الحدث الأوّل من نوعه الذي ينطلق في مدينة كربلاء العراقية بعد غدٍ الإثنين ويستمر إلى السابع من أيلول (سبتمبر) الحالي، تحت عنوان «مبادئ النهضة الحسينية ودورها في تحرير القدس وثورة الشعب الفلسطيني».

المؤتمر الذي يتزامن مع ذكرى أربعينية الإمام الحسين، وُلدت فكرته انطلاقاً من معطيات عدّة، أبرزها أهمية التعاون والتضامن الدوليَيْن بين المؤمنين بالقضية الفلسطينية من أجل تحقيق مبادئ العدالة ومساندة الشعوب المظلومة، وفي مقدّمتها الشعب الفلسطيني الذي يتعرّض لأبشع أشكال الظلم واستلاب الحقوق، إلى جانب اعتبار ما تمثّله ثورة الإمام الحسين وشهادته من نموذج رائد في الدفاع عن الحق والخير وبذل التضحيات في سبيل الإصلاح والانتصار لحقوق المستضعفين.

وبما أنّ زيارة الأربعين تشكّل فرصة للقاء الملايين من حول العالم، يهدف المؤتمر المرتقب إلى طرح القضية الفلسطينية ومبادئ النهضة الحسينية في هذا التجمّع البشري الضخم، باعتبارها نقاط «وحدة والتقاء بين جميع الناس من كلّ جنس وبلد ودين».

لوحة للثنائي ماهر وإيرينا ناجي

يجري الحدث بالتعاون بين عدد من الجهات والمؤسسات، من بينها الأمانة العامة للعتبة الحسينية ودار الإفتاء العراقية و«الحملة العالمية للعودة إلى فلسطين».

يتضمّن جدول أعماله أربعة محاور منوّعة، هي: مبادئ النهضة الحسينية والقضية الفلسطينية، وشهادات من الواقع الفلسطيني، والدور التاريخي للشعب العراقي في الدفاع عن القضية الفلسطينية، والخطاب الفكري والثقافي وقضية فلسطين.

كذلك، يسلّط الحدث الضوء على السبل العملية للتصدي لمشروع التطبيع على المستوى الفكري والثقافي، وتحديد طرق الإفادة من المناسبات الدينية والجماهيرية (ومنها زيارة الأربعين) لتعزيز الترابط والتضامن بين «أحرار العالم وخدمة القضية الفلسطينية والقضايا العادلة».

قائمة المشاركين تشمل 250 شخصية علمائية وفكرية وثقافية من 60 دولة حول العالم، بالإضافة إلى عدد كبير من العراقيين. ومن بين هؤلاء مثلاً، نذكر توشار حفيد المهاتما غاندي، ومانديلا حفيد نيلسون مانديلا. علماً أنّ المنظّمين حرصوا على عدم دعوة سياسيين وحزبيين. أما الافتتاح، فسيشارك فيه مباشرة من القدس المحتلة مفتي فلسطين الشيخ محمد أحمد حسين، ورئيس أساقفة سبسطيا للروم الأرثوذكس في القدس المطران عطالله حنّا.

في هذا السياق، يؤكّد أمين سرّ «الحملة العالمية للعودة إلى فلسطين» وعضو اللجنة المنظمة للمؤتمر، عبد الملك سكريّة، لـ «الأخبار» أن الحدث غير المسبوق يأتي «تأكيداً لوحدة المسلمين ولأن قضية الحسين تخصّ الشيعة كما السنّة، ومن أجل قطع الطريق على العدوّ الأميركي الصهيوني الذي يعمل ليلَ نهارَ على إشعال الفتنة السنية ـ الشيعية».

ويعتبر سكرية أنّ المؤتمر يندرج في إطار «المواجهة العملية» بعيداً عن الخطابات والشعارات، مشدداً على أنّه «حدث تأسيسي لما سيأتي مع المقبل من السنين».

«مؤتمر نداء الأقصى الدولي»: من الإثنين 5 إلى الأربعاء 7 أيلول ـ العتبة الحسينية ومدينة سيّد الأوصياء في كربلاء (العراق).

المفكرة

لقاء في البازورية

■ تحت عنوان «عامل بين منظمات المجتمع المدني... أنموذج في صون كرامة الانسان»، تستضيف «مجموعة البازورية الاعلامية» لقاء مع رئيس مؤسسة عامل الدولية كامل مهنا.

السبت 3 أيلول، الساعة 4،45 عصراً في قاعة الدكتور عبدالكريم قرعوني الثقافية

فلسطين بعيون خليل رعد

■ ضمن فعاليات «مهرجان بيروت للصورة 2022»، يُفتتح في الثامن

من أيلول (سبتمبر) الحالي معرض تكريمي بالتعاون مع «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» بعنوان «فلسطين... حياة بعيون المصوّر خليل رعد»، في قاعة المعارض في مقرّ المؤسّسة في فردان. يتضمن المعرض صوراً تاريخية من أرشيف المصوّر خليل رعد، توثق الحياة اليومية في فلسطين ومشاهد طبيعية، بالإضافة إلى لقطات من المدن والقرى الفلسطينية ما قبل النكبة. يستمر الحدث في استقبال الزوّار من الإثنين إلى الجمعة 30 أيلول.

معرض «فلسطين... حياة بعيون المصوّر خليل رعد»: من 8 أيلول حتى 30 منه ـ من الساعة الثامنة صباحاً إلى الرابعة بعد الظهر ـ قاعة المعارض في «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» (فردان ـ بيروت). للاستعلام : 01/868387

وفاء مراس ضيفة زاهي

■ تحلّ الفنانة والإعلامية المغربية وفاء مراس، اليوم السبت ضيفة على برنامج «بيت القصيد» الذي يقدّمه الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي على «الميادين»، لتتحدّث عن تجربتها المنوّعة في الغناء والتمثيل وتقديم البرامج والمهرجانات السينمائية ودراستها للآداب الفرنسية وعلاقتها بالأدب

العربي وإعجابها بأعمال الروائية المصرية الراحلة رضوى عاشور، بالإضافة إلى انطباعها عن بيروت التي تزورها للمرة الأولى. يتطرّق الحوار إلى ولادة مراس ونشأتها في مدينة الناظور في شمال المغرب، وأثر البيئة الريفية في تكوين ذائقتها، واشتغالها على تقديم الثقافة والموروث الريفي الأمازيغي، إلى جانب إتقانها التمثيل والغناء بالعربية، على أن تتخلل الحلقة شهادة من الفنانة المغربية لطيفة أحرار. علماً أنّ مراس أصدرت في عام 2007 ألبوماً باللغة الأمازيغية بعنوان «سندو»، فازت إحدى أغنياته بجائزة لجنة التحكيم الخاصة في مسابقة الأوروميد.

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين»

كاميران خليل يرسم «أوهامه»

■ تدعو غاليري Mission Art في مار مخايل إلى افتتاح المعرض الفردي الجديد للفنان السوري المقيم في برلين كاميران خليل (1986) بعنوان «وهم»، في 13 أيلول (سبتمبر) الحالي. النشاط الفني المستمرّ إلى 23 من الشهر نفسه (يومياً ما عدا الأحد ـ من الساعة الرابعة بعد الظهر حتى السابعة مساءً)، يضم مجموعة من لوحات خليل المرسومة بالزيت والفحم. الفنان المولود في حلب يحمل درجة ماجستير من «جامعة برلين للفنون» (2017)، وخرّيج كلية الفنون الجميلة في «جامعة دمشق» (2009). في رصيده مجموعة من المعارض المنفردة في ألمانيا وسوريا، وأخرى جماعية بين ألمانيا والسويد.

افتتاح معرض «وهم» كاميران خليل: الثلاثاء 13 أيلول ـ الساعة الخامسة بعد الظهر ـ غاليري Mission Art (مار مخايل ـ بيروت). للاستعلام: 03/833899

زياد يغنّي كارم وعبد المطّلب

■ ثمّة قاسم مشترك بين الراحلَين كارم محمود (1922 ـ 1995) ومحمّد عبد المطّلب (1910 ـ 1980) يكمن في كونهما قدّما نوعاً من الطرب الشعبي، السلِس والعفوي. ويمكن اعتبار كارم محمود نسخة محدّثة تشكل امتداداً (خصوصاً في المرحلة الأخيرة من مسيرته) لعبد المطّلب الذي يشكل بدوره امتداداً لهذا اللون الغنائي الذي يعود إلى بداية القرن الماضي، مع سيّد درويش وغيره. هذه الأجواء، يستعيدها الفنان اللبناني زياد السحّاب (الصورة)، المخوّل بفنّه وشخصيته وصوته وعوده، للقيام بهذه المهمّة، إذ يحلّ ضيفاً على NOW Beirut (الأشرفية) مع فرقته التي سبق أن قدّم برفقتها هذا المشروع قبل أسبوعين، في استعادة لكلاسيكيات المطربَين الكبيرين اللذين طبعا مرحلة أساسية في النتاج الغنائي المصري الطربي الشعبي.

زياد سحّاب وفرقته: مساء غدٍ الأحد ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 01/211122

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03/828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 3 أيلول 2022
العدد 4717 السنة السابعة عشرة
Samedi 3 Septembre 2022 nº 4717 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

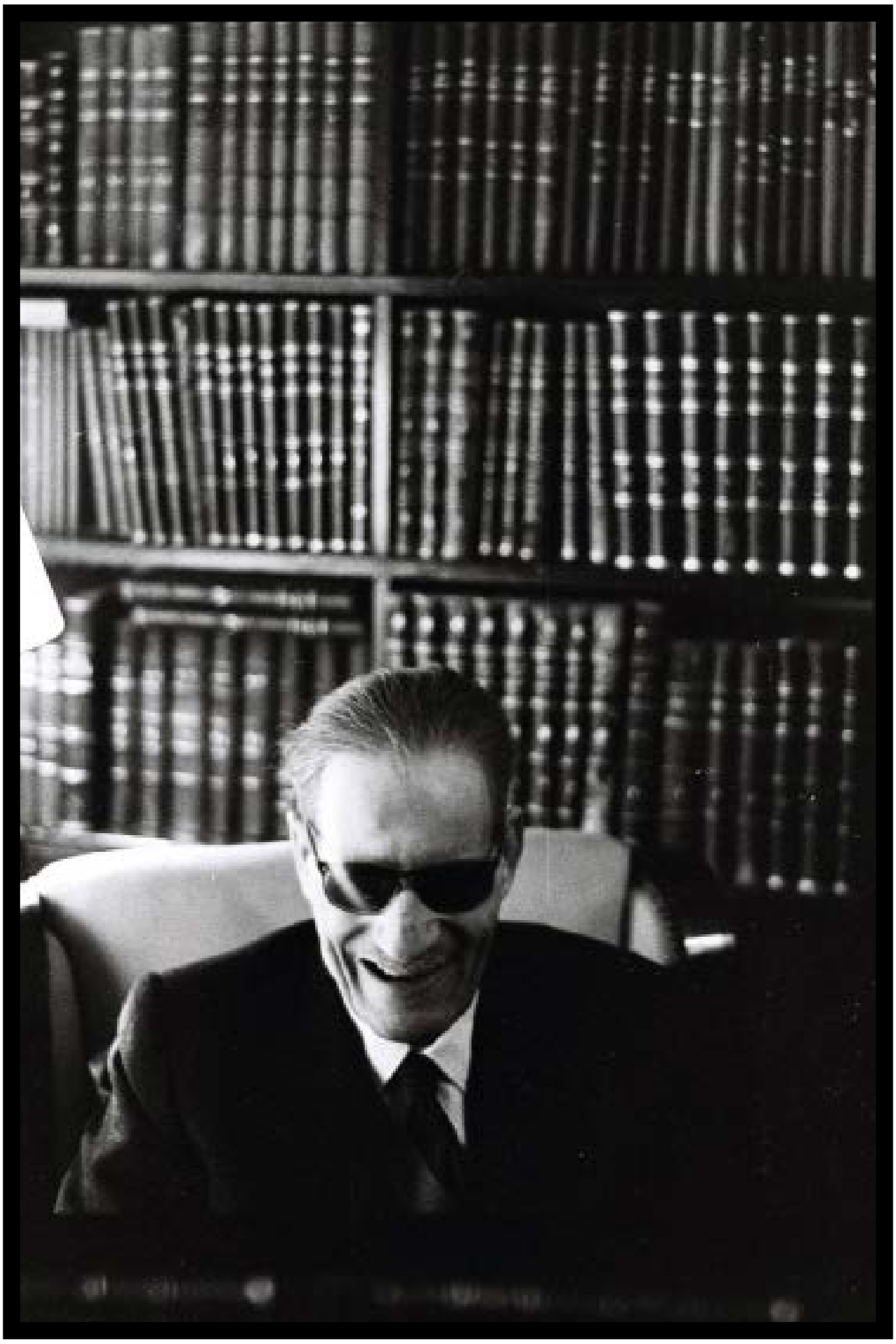

ليس لطه حسين أينَ يسند رأسه؟

القاهرة ـ الأخبار

مقبرة طه حسين (1889ـ 1973) تتصدّر المشهد الثقافي العربي هذه الأيام. قبل شهرين، ضجّت القاهرة بأنباء تفيد بقرب إزالة القبر ضمن خطة توسيع الطرق في جنوب العاصمة. وقبل أيام، فوجئت أسرة صاحب «الأيام» والمهتمين بالتراث، بوضع علامة «X» بجوار كلمة «إزالة» ليصبح الأمر واضحاً وضوح الشمس. احتمال إزالة قبر «عميد الأدب العربي»، أشعل حملةً ضخمة على مواقع التواصل الاجتماعي، زادت من تخبّط الجهات الرسمية وبياناتها المتضاربة . أو أقلّه الضبابية . في هذا الشأن. ففي تطور جديد مساء أمس، أزيلت علامة x وكلمة «إزالة» من على جدران القبر. إلا أنّ أحداً من المسؤولين لم يتواصل مع أسرة «العميد» بشأن إزالة القبر أو التراجع عن القرار.

ورغم تأكيد المهندسة جيهان عبد المنعم، نائبة محافظ القاهرة للمنطقة الجنوبية بأنّ مقبرة صاحب «في الشعر الجاهلي» لا تدخل ضمن أعمال التطوير الحالية؛ فإنّ مصادر داخل المحافظة أشارت إلى أنه لو لم يكن قبره مدرجاً ضمن المرحلة الحالية من التطوير، فإن ذلك لا يعني عدم إزالته خلال الأشهر المقبلة، وخصوصاً أنّ من المقرر إزالة جميع المقابر الموجودة في المنطقة في أقرب وقت لتنفيذ مشاريع التطوير. وقالت مها عون، نجلة حفيدة حسين، لنا إنّهم خاطبوا كلّ الجهات لمنع إزالة قبر جدهم، فيما لم يتلقّوا أيّ ردّ حتى الساعة!

حوار

إبراهيم عبد المجيد: العالم الافتراضيّ بات رافداً لرواياتي

في ستينيات القرن الماضي، زمن العصر الذهبي للمثقفين في مصر، استطاع الروائي إبراهيم عبد المجيد (1946) ان يحجز لنفسه مكاناً بين الكبار. في شوارع القاهرة المزدحمة ومقاهيها العامرة، دائماً ما، كان يحمل نسيم الإسكندرية، كما يخلد سيرتها وحكاياتها في رواياته. خلال مسيرة إبداعية تجاوزت نصف قرن، تفاعل مع كل اشكال الرواية واساليب الكتابة من الواقعية الكلاسيكية المباشرة والفانتازية والتجريب. رحلة امتدت على اكثر من 20 رواية، تعُد ثلاثية الإسكندرية ابرزها متضمّنة روايات: «لا احد ينام في الإسكندرية»، و«طيور العنبر»، و«الإسكندرية في غيمه»، فضلاً عن روايات أخرى صارت من العلامات البارزة في مشواره: «في كل اسبوع يوم جمعة»، و«هنا القاهرة»، «ليلة العشق والدم»، و«البلدة الاخرى»، و«بيت الياسمين». كما صدرت كل اعماله القصصية أخيرا تحت عنوان «أشجار السراب» عن «دار الشروق». تُرجمت اعماله إلى لغات عدة منها الإنكليزية والفرنسية والالمانية، كما تحوّل بعضها إلى اعمال تلفزيونية وسينمائية. في عقده الثامن، يحافظ عبد المجيد على التواصل مع الشباب عبر وسائل التواصل الاجتماعي والاشتباك معهم. قبل فترة، نشر ثلاثيته «الهروب من الذاكرة» مرةً واحدةً «خوفاً من الموت». رغم ظروف مرضه القاسية؛ يجيد الكتابة في مواجهة الموت. «كلمات» التقت الكاتب المصري في حديث عن الحياة والعمر والأدب...

تقديم وحوار **عبدالله رامي**

■ أصبحت الجوائز تشغل حيزاً واهتماماً كبيرَيْن في الوسط الأدبي. ومع كثرتها، أصبحت جزءاً من لعبة التسويق في دور النشر. كيف تتابع وترصد تأثير هذه الحالة على الكاتب والواقع الثقافي بشكل عام؟

- مَن يولي الجوائز اهتمامه، سيكتب من أجلها ومن ثم ستكون الصنعة والقصد والاستهداف في الكتابة، وهذا يفسد أي كتابة. الأفضل أن لا يفكر فيها وستأتي وحدها فهي أرزاق. بعض الكتّاب تعطلهم الجوائز ويتوقفون عن الكتابة من فرط السعادة، لكن الأفضل هو أن تنظر إلى ما كتبت وتؤكد لنفسك أنّ الكتابة هي السبب، فتستمر في الكتابة وتحاول أن ترتقي أكثر بإبداعك ولا تعتبر ما كتبت نهاية العالم.

■ طوال أكثر من نصف قرن، كيف تطوّر مفهوم الكتابة لديك؟ وكيف استقبلت الأشكال الروائية الجديدة وتفاعلت معها؟

- منذ السنين الأولى، وبعد قراءات كثيرة جداً في تاريخ الأدب والمذاهب الأدبية، فإنّ مفهوم الكتابة يعني التجديد في بناء الرواية أو القصة. تجديد يأتي من مكان الأحداث وزمانها وأنواع الشخصيات ومن ثم لغاتها. بمعنى أنّ الرواية ليست مجرد حكاية. كما أنّي أرى أنّ العلاقة بين الرواية والفنون الأخرى شديدة الأهمية. فاللوحة التشكيلية تعلّمك كيف تختصر المعنى في أقل مساحة، وكيف تتعدد الألوان المُستخدمة ومن ثم في الرواية كيف تتعدّد لغات الشخصيات. الأمر نفسه في السينما وكيف تستفيد منها الرواية في تلخيص الصورة وهكذا.

■ ننتظر قريباً صدور طبعة تجمع أعمالك القصصية. بين تكثيف فن القصة والحكي المستفيض في الرواية، أيهما أقرب إليك؟

- الاثنان لهما المكانة نفسها في القلب. أخذتني الرواية أكثر منذ بداياتي لأسباب لا يعلمها إلا الله. لكن فرحتي بكتابة قصة قصيرة لا تقل أبداً عن فرحتي بكتابة رواية.

■ شخصيات رواياتك تولد دوماً من رحم الواقع، لكنك دائماً ما تضفي عليها بعداً فانتازياً مختلفاً. هل تخطط لأعمالك بشكل محكم أم تفاجئك الأحداث أثناء الكتابة؟

- لا أخطط أبداً لأي عمل. تأخذني الرواية كحالة غائمة في الروح وتدفعني لكتابتها. خلال الكتابة، تتطوّر الرواية وتأخذ شكلها. شخصيات الرواية هي التي تمشي بي وتضع هي طريق أحداثها. أخيراً مع التقدم في العمر، صرت أكتب أحياناً ملاحظات في الصفحة الأولى أثناء الكتابة من نوع «لا تنس أن فلاناً أو فلانة في الرواية قصير أو طويل أو عيناه خضراوان». أفعل ذلك واضحك. أحياناً أعطي الرواية لصديق من الشباب بعد أن تنتهي وقبل النشر ليتأكد من ذلك. أما الفانتازيا، فهي تطور طبيعي لحياتي صغيراً في حي كرموز في الإسكندرية وحكايات الغرباء المليئة بالعجائب والغرائب، فضلاً عن قراءتي في ما بعد لكتب كثيرة في الانثروبولوجيا وثقافات الشعوب البدائية و«ألف ليلة وليلة». وجدت فيها ملاذاً أجمل من السرد الواقعي منذ رواية «المسافات» التي بدأتها عام 1978 ونُشرت عام 1981، ومشت الفانتازيا معي.

■ في ثلاثية الإسكندرية، هل كانت لديك رؤية مسبقة لوصف ما حدث لمدينتك في مراحل مختلفة لتتحول من عروس المتوسط إلى أحد تجمعات المتطرفين الكبرى؟

- في الحقيقة لا . فقط حين انتهيت من كتابة رواية «لا أحد ينام في الإسكندرية» انتبهت إلى أنّ هناك تحولاً كبيراً حدث للمدينة. ورغم أنّ لي روايات سابقة عن حالها المعاصر مثل «الصياد واليمام» و«ليلة العشق والدم» و«بيت الياسمين»، إلا أنّ السؤال عند انتهائي «من لا أحد ينام في الإسكندرية» كان كيف حدث حقاً هذا التحول من مدينة العالم إلى مدينة سلفية وهابية عشوائية، فبدأت في دراسة الأمر. أدركت أنهما نقطتا تحوّل. الأولى بعد ثورة يوليو 1952 وما جرى للجاليات الأجنبية بداية من العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 ثم تمصير، فتأميم الاقتصاد، وكيف صارت المدينة مصرية من دون الجاليات الأجنبية، فكتبت رواية «طيور العنبر». ثم هناك التحول الثاني مع سياسة أنور السادات في السبعينيات وكيف صارت المدينة سلفية وهابية، فلم تعد لا عالمية ولا مصرية، لذا كتبت رواية «الإسكندرية في غيمة».

■ المكان كان بطلاً في «ثلاثية الإسكندرية». أما في «الهروب من الذاكرة»، فكانت البطولة للزمن بشكل واضح. حدّثنا عن كواليس كتابة «الهروب من الذاكرة»؟

- كالعادة أنا لا أكتب الرواية إلا حين تحملني إلى كتابتها مثل متابع لما يحدث حوله. السجن تجربة يمر بها كثيرون لأسباب سياسية وجنائية. أنا واحد من الذين عرفوا السجن عام 1985 حين كنا نعمل في السياسة في لجنة أقامها ذلك الوقت «حزب التجمع» كان اسمها «لجنة الدفاع عن الثقافة القومية». كانت لجنة جبهوية تضم كل الفئات من الحزب وخارجه. كنا ضد التطبيع وحضور إسرائيل معرض الكتاب الذي بدأ منذ عام 1980 وانتهى عام 1985 عام القبض عليّ وعلى أكثر من عشرين كاتباً. مع الحياة من حولي الآن وأخبار السجون خصوصاً لأسباب في الرأي، بدأت الرواية تشتعل في روحي. كنت أعاني من عدم القدرة على الحركة لأخطاء في التشخيص الطبي وعلاج خاطئ، فقررت أن اتفرغ للرواية منتظراً الموت. أنفقت فيها عاماً ونصف عام، وأنهيتها والحمد لله لم أمت. دائماً كنت أقرأ عن متلازمة استوكهولم حيث يعبد ويخضع المجني عليه لمن تسبّب في الأذى له، لكنّي رأيت حولي في الحياة الآلاف يخرجون من السجون وينتصرون في الحياة. جاءت الرواية محاولة للمساجين لبناء حياة جديدة رغم أن ذكريات السجن تطاردهم. كيف نجحوا رغم أن كل شيء حولهم يذكّرهم بالماضي. هذه هي الرواية.

■ ألم تشعر بمغامرة إصدار هذه الثلاثية مرة واحدة في هذا الحجم الكبير؟

- خشيت أن أموت لو نشرت جزءاً واحداً ويتم نشر الثاني بعد وفاتي وعليه عنوان «الرواية التي كتبها قبل أن يرحل»، فقررت أن تكون الأجزاء الثلاثة معاً. وبالمناسبة هي كلّها سبعمئة وخمسون صفحة، وهناك الآن من يكتب رواية من جزء واحد في سبعمئة صفحة وأكثر. لا توجد مغامرة.

■ في الثلاثية تقف في منطقة ما بين الذاكرة ومحاولة النسيان. لماذا بدأت كل رواية من الثلاثية بالجملة التي ارتبطت في أذهاننا بعالم نجيب محفوظ: «رأيت فيما يرى النائم»؟

- جميل أنك ذكّرتني بنجيب محفوظ. إنه يسكن القلب. لكن الجملة قديمة متداولة من قبل نجيب محفوظ في كثير من حكايات التراث والدين. هي جملة تسكّن روحي، أو هكذا رأيتها فكتبتها، وهي على أي حال لم تتكرر إلا ثلاث مرات، مرة مع أول كل جزء محاولة مني للتأكيد على الخيال أكثر من الواقع.

■ عملت في مناصب مختلفة في وزارة الثقافة وقطاع الثقافة الجماهيرية. لكنك أعلنت أكثر من مرة رغبتك في إلغاء وزارة الثقافة كجزء من الإصلاح. هل ترى الحل في ابتعاد الدولة لتحسين واقعنا الثقافي؟ وما بديل وزارة الثقافة؟

- مهما نشطت الوزارة، يحكمها روتين وقواعد بيروقراطية. إنها مثلاً لا تسعى للمكسب، وهذا رائع لكن ميزانيتها ضعيفة، فقليل من العمل الحُر قد يساعد. القوانين تعطّل قصور الثقافة عن التعاون المالي مع المجتمع الأهلي مباشرةً. ولو أعطوا قصور وبيوت الثقافة لفنانين بحق الانتفاع خمسين عاماً مثلاً، ليبقى الموظفون من دون تسريحهم، وتضمن لهم الدولة أجورهم، سيتم تحويلها إلى مراكز ثقافية نشطة، أو يتم إطلاق يد الوزارة في الاستعانة بالمجتمع الأهلي والتبرعات والإعلانات ليزداد الدخل الذي يزيد من النشاط. وفي كل الأحوال، لا بد من بقاء عناصر منها تابعة لـ «المجلس الأعلى للثقافة» في حالة إلغاء الوزارة مثل دار الكتب وجوائز الدولة بينما تكون الأوبرا تابعة لأكاديمية الفنون. على سبيل المثال، كتبت أكثر من مرة داعياً وزارة الثقافة إلى تخصيص مال يكفي لترجمة أعمال مصرية إلى لغة أخرى كما يحدث في بعض الدول العربية. لكنّ الوزارة بميزانيتها المحدودة لا تستطيع، وينبغي للدولة ما دامت الوزارة محدودة الموارد أن تلتفت إلى ذلك، ومطالبتي بإلغاء الوزارة لا تعني ألا يكون هناك دور للدولة لكن كما شرحت سابقاً كيف يكون دورها.

■ رغم الوفرة الكبيرة في الأعمال الروائية الآن، فإن اعتماد السينما والدراما على الرواية أصبح أقل أو معدوماً. ما سبب ذلك الانفصال في رأيك؟

> الفانتازيا في أعمالي تطور طبيعي لحياتي صغيراً في حي كرموز في الإسكندرية وحكايات الغرباء المليئة بالعجائب

> بعد العمليات الجراحية الصعبة التي أجريتها، صرت أقرأ الأعمال الفكرية لأنّها تعيد تركيزي

- في ما مضى، كانت روايات الكتّاب كلها تقريباً تتحول إلى مسلسلات وأفلام. الآن، ليس هناك أكثر من فيلم أو مسلسلين مقتبسين عن أعمال لكتّاب، وأتحدّث عن أجيال كاملة منذ الستينيات حتى اليوم. مصر كانت يوماً ما هوليوود الشرق، تقدّم أكثر من ستين فيلماً في العام وخمسين مسلسلاً غير المسلسلات الإذاعية. اليوم، تقدّم مصر عشرين مسلسلاً في شهر رمضان وليس طول العام، ولا تصل إلى عشرين فيلماً في العام إلا قليلاً. من المؤكد أنّ هذا الأمر يعود في جانب منه إلى احتكار الإنتاج الدرامي، ومن ثم لا بد من التوسع وإطلاق يد المجتمع الأهلي في الإنتاج كما كان الأمر وتقليل ضغوط الرقابة. منذ نشأتها في العالم، قامت السينما على الرواية، حتى حين ظهرت موجة المخرج المؤلف في أوروبا وأميركا في ما بعد، لم ينتهِ اعتماد المخرجين الآخرين على الرواية وحتى الآن.

■ انضممت في السبعينيات إلى أحد التنظيمات الماركسية، وكذلك كان لكل المثقفين في تلك الفترة نشاط سياسي، لماذا غاب المثقفون عن السياسة الآن؟

- هذا أمر يحيّرني. كثيراً ما فكرت بأن أكتب عن الموضوع، ثم تراجعت لأن إيماني بحرية كل شخص كبير وأساسي. ربما يحدث هذا الابتعاد عن السياسة لضيق الحياة السياسية أكثر من أي وقت عرفناه. وربما لاكتفاء الكتاب بما يكتبون بديلاً عن أيّ نشاط، لكن المؤكد أن الحياة السياسية ضيقة وليست كما كانت من قبل.

■ رغم أنك تنتمي إلى جيل مختلف، فإنك تحرص على الاهتمام والتفاعل مع قرائك على وسائل التواصل الاجتماعي حتى إنك استلهمت فكرة رواية «في كل أسبوع يوم جمعة» منها، ما سر هذا الاهتمام؟ وكيف أثّر على رؤيتك كأديب وكاتب؟

- أنا مؤمن بأنّ العالم يمضي إلى الأمام، وعليّ أن أكون في قلب حركته. التفاعل مع القراء على مواقع التواصل، صار بديلاً عن الجلوس في المقهى. نجيب محفوظ مثلاً كان يتواصل مع الأجيال التالية له في المقهى. الفضاء الافتراضي صار مقهى هذا الزمن، هذا من ناحية. من ناحية أخرى، فالفضاء الافتراضي صار مكاناً يحوي كل أنواع البشر، ومن ثم لا يمكن تجاهله. كتابة رواية «في كل أسبوع يوم جمعة» التي نُشرت في عام 2009 كانت إجابة على سؤال شخصي. قلت لنفسي: لقد كتبت عن مدن وبلاد وصحار، لكنّ الآن هناك مدناً في الفضاء، فجاءت الرواية. بعدها صار العالم الافتراضي رافداً لرواياتي وإن لم تُخصص له كالسابقة. هو رافد مهم ورئيسي في الحياة الآن، تنشغل به بعض شخوص الرواية فكيف يمكن تجاهله؟ المهم الصدق الفني، بمعنى متى يظهر هذا العالم الافتراضي ومتى يختفي ومن هي الشخصيات التي تستعين به.

■ هل هناك قارئ ما تتخيّله أثناء الكتابة، وما مواصفاته؟

- استهداف قارئ ما يكون في الروايات البوليسية أو في رواية مكتوبة من البداية للفتيان أو الأطفال مثلاً . أنا أكتب الرواية الأدبية منصاعاً لشخوصها، ومشتبكاً معهم، ومهتماً بالصدق الفني في التعبير عنهم والبناء الفني المناسب لهم ولها. والحمد لله بعد نشر الرواية يتوافد إليها القراء من كل الأعمار.

■ لديك مبدأ وفلسفة في تقاضي أجر حتى لو كان ضئيلاً في أي عمل يتعلق بالكتابة، يمكن أن تشرح لنا فلسفتك في زمن أصبح فيه بعضهم يدفع أموالاً للنشر؟!

- منذ بدأت الكتابة، لا أعتمد على العائد المادي لنشر الرواية أو القصة، رغم أن ما كان يُنشر من الرواية في كل طبعة، ثلاثة آلاف نسخة وليس كما هو الآن ألف نسخة مثلاً. اعتمدت على كتابة المقالات في الصحف العربية. وفي أيامنا، لم يكن الكتّاب بالمئات كما هم الآن، ولم نكن نتزاحم على النشر، فهو متوافر جداً، وكان طبيعياً أن نتقاضى أجرنا من الناشر. ربما لم أكن أتناقش في قيمة الأجر، لكنّ المهم أنّ هناك أجراً. زحام الكتاب الآن يجعل بعضهم، وخصوصاً حين يُنشر للمرة الأولى يسهم في مبلغ ما. بل إنّه حتى ظهرت دور نشر عربية تعلن أنها لا تدفع أجراً، وهناك كتاب لديهم القدرة المالية، يرون أن يدفعوا للناشر متصورين أن الشهرة تأتي من فن الرواية. صار الموضوع معقداً جداً. لكني حتى الآن، لا أنشر طبعاً إلا نظير أجر كما فعلت في بداية حياتي.

■ أخيراً هل هناك كتب تعود إليها بشكل دائم؟

- ليس هناك كتاب محدد. أعيش أكثر على الذكريات مع بعض الكتب، لكن لا أقرأها من جديد. أقرأ الآن كتباً فكرية أكثر من الرواية لأنني بعد العمليات الجراحية الصعبة التي أجريتها، أصبحت كثير الشرود، والكتب الفكرية تعيد إليّ عقلي.

■ وماذا تقرأ الآن؟

- آخر ما قرأت مذكّرات الكاتب الكبير محمد سلماوي في جزءيها، وهي عمل متفرد وعظيم وكتبت عنهما، وكذلك انتهيت من كتاب جميل عن الفنانة الشهيرة مديحة كامل كتبه الشاب محمد السرساوي وسوف أشير إليه في كتاباتي قريباً.

إبراهيم عبد المجيد: الحياة السياسية ضيقة ولم تعد كما كانت عليه من قبل

قصة

مشنقتان لملاكين

أحمد عبد المنعم رمضان *

في الصف الثالث أو الرابع الابتدائي حكت لنا مُدرّسة اللغة العربية، وكانت هي نفسها مدرّسة الدين، قصة لم أسمع بها من قبل أو بعد، قالت إن ملاكين فكّرا في الذهاب إلى الله في سالف الأزمان للتعبير عن امتعاضهما مما يفعله الإنسان على الأرض دون أن ينفيه الله أو يبيده من على سطحها. عقدا جلسة بجوار باب الجنة، وقرّرا أن يتوجّها معاً إلى العرش الإلهي ليسألا الله عن سبب صبره على الإنسان، هذا الكائن المقزّز، الطيني، الذي يتغوّط ويطلق ريحاً ويسب ويكذب ويخون ويسرق، لماذا اختاره ليكون خليفته في الأرض وتجاهلهم وهم المخلوقات النورانية المطيعة، وطبقاً لقصة مدرسة العربي والدين، أنهما نفّذا مخططهما فعلاً، ذهبا إلى الله وأبلغاه – مرتبكين بطبيعة الحال – بما يجيش به صدراهما. إلا أن الله أعلمهما أنهما لا يقولان ذلك إلا جهلاً، لأنهما لم يختبرا إغراءات الحياة وشهوات الدنيا، وأنهما لو كانا مكان الإنسان لما احتملا تلك الضغوط ولارتكبا الخطايا والمعاصي نفسها. ولكن أحدهما لم يستسلم، وتجرّأ أن يجادل الله ويعاهده أنه إذا بُعث إلى الأرض، لن يرتكب أي جرم أو محرم، سيلتزم بالتعاليم والأوامر كحاله دائماً. أضاف أن الأمر بسيط وسهل ولكن البشر ضعاف وبلا أخلاق، نظر الأول إلى زميله، فهزّ الآخر رأسه وأكد على كلام رفيقه طالبين من الله أن يختبرهما ويمتحن ولاءهما. تُكمل مدرستي القصة وتقول إن الله استجاب لطلبهما الفريد، على شرط أن يقضيا أسبوعين دون أية خطيئة أو ذنب، فإذا نجحا سيبقيهما على الأرض كما يتمنيان، أما إذا خالفا أياً من التعاليم، فسيكون عقابهما قاسياً، أشد قسوة مما توعّد به البشر الخطّائين والضالين، فوافق الاثنان دون تردد واثقين بنفسيهما، ووعدا بألا يقترفا أياً من المعاصي أو الذنوب.

تحكي المدرّسة، وكانت عجوزاً ضئيلة الحجم، بشعيرات بيضاء خشنة تتسرب من مقدمة حجابها القاتم اللون، وبعروق زرقاء تنفر فوق جسدها الشاحب، فتضيف إلى هيئتها ملمحاً مخيفاً، جعلني أتصور أن هذه هي الهيئة التي يكون عليها الموتى في سباتهم الطويل، تحكي أنهما عندما نزلا إلى الأرض، كانا في منتهى الالتزام، لم تبهرهما الدنيا، فقد زارا الأرض من قبل في مهام رسمية، وظلا مخلصين لتعاليم الله بحذافيرها، لم يختلطا بالبشر إلا قليلاً في اليومين الأوّلين، ربما لما لمساه من فجورنا، إلا أنهما في اليوم الثالث قررا أن يكسرا عزلتهما، خرجا إلى الشوارع، غضّا البصر عن النساء، ربما استرقا بعض النظرات العابرة ثم ذهبا إلى أحد المقاهي، لا بد أنهما طلبا شاياً باللبن، (مشروب يليق بالملائكة)، وفي الليلة نفسها أو التالية عليها، تجاذبا أطراف الحديث مع رواد المكان ولعبا الطاولة وشاهدا مباراة الأهلي وقرأ الصحف واندمجا في حديث سياسي، وسبّا الحكومة – إلا أن المُدرّسة لم تخبرنا بذلك –، وبعد أسبوع عرّفهما أحد رواد المقهى إلى فتاتين سمراوين على قدر محدود جداً من الجمال، إلا أنهما كانتا قادرتين على إغوائهما. جرّبا الشهوة للمرة الأولى في حياتهما، الآن وفجأة شعرا بتلك الرغبة المحمومة، وهذا العضو المنتصب بين أرجلهما، وقبل انتهاء الأسبوعين كانا قد شربا الخمر وكذبا وسبّا ومارسا الجنس مع الفتاتين، ودفعا إلى كل منهما مئتي جنيه، فانفعلت الفتاتان وأثارتا الضجيج، فدفعا مئة أخرى إلى كل منهما.

تكمل المدرّسة بأن الملاكين أيقنا في آخر الأسبوعين أن لا مفر لهما من العقاب المنتظر، وعندما عادا إلى الله اشتكيا له من صعوبة الاختيار، وأقرّا أن الإنسان يقاسي ويتعذب بين تلك المُغريات، سجداً بين يديه طالبين منه المغفرة، راجين عفوه والعودة إلى مكانهما في خدمته في السماء.

إلا أن الله عاقبهما بنفيهما إلى الصحراء، في عزلة تامة، معلقين إلى ما يشبه الصلبان، أو هكذا تخيلت، أبقى عليهما في الأرض كما طلبا ولكن وحدهما تحت لهيب الشمس أو في قسوة البرد، دون أي مخلوق آخر يقربهما.. هكذا قالت لنا المدرّسة.

عندما عدت إلى المنزل، وأثناء خلع ملابسي وإلقائها على السرير، سألت أبي عن مكان الملاكين المُعاقبين، فهزّ رأسه مستفهماً، حكيت له القصة كاملة، كما حكيتها لك الآن ولكن بشغف أكبر، شغف طفولي ممزوج ببعض التوتر وكثير من الخوف. ضحك والدي وقال لي وهو ينادي أمي بأنه لا يعرف مكانهما، ثم طلب مني أن أعيد القصة على أمي التي لم تدلني على مكانهما أيضاً.

فكّرت أننا لا بد أن نبحث عنهما، فعندما فصلتني المدرّسة ذاتها بعيداً عن صديقي أحمد نير وأمرتني أن أجلس في المنضدة الخالية في آخر الفصل، كنت أتمزق ملأً، حتى إنني أرسلت إليه رسالة عبر زملائنا، ولكن يوسف قرأها في منتصف الطريق ورفض أن يسلّمه إياها... ما بالك بهذين الملكين المعزولين منذ سنين كثيرة، لا أعلم منذ متى تحديداً، ولكن يبدو أن القصة قديمة، وأنهما هناك منذ زمن طويل.

بحثت في الكتب المتراصة في مكتبة المدرسة عن أي أثر لهما فلم أجد، إلا أنني قرأت عن أشياء عجيبة أخرى، ربما أكثر غرابة من قصة الملاكين، قرأت أنّ رجلاً اكتشف قارة كاملة كانت خافية عن العالم، وقرأت أنهم كادوا يعدمون رجلاً لأنه قال إن الأرض تشبه الكرة، وإن شخصاً صُلب أمام مدينة كاملة ولكنه لم يكن الشخص المقصود بل كان آخر شبيهاً له، ورأيت صورة لرجل بملامح غريبة وشارب نحيل اسمه هتلر، وقرأت عن سيدين لعبا الشطرنج متنافسين على ملكية إحدى الدول، وعن مجموعة من البشر اجتمعوا في مكان ما وأبادوا كل أهله الأصليين، اندمجت في البحث يومياً في المكتبة، تتقاذفني القصص في ما بينها حتى نسيت أمر الملاكين.

كانت أمينة المكتبة لا تطيقني وتبدي انزعاجها الدائم من حضوري، فتقول بصوتها المتعفن «إنت شرفت؟؟»، أدركت أنني أكسر عليها روتين حياتها اليومية الذي يبدأ بقراءة الصحف والمجلات وصفحات الموضة والأزياء، رغم أنها دائماً ما ترتدي عباءة طويلة بلون واحد، دون رسوم أو زركشات، ثم تأتيها الاختصاصية الاجتماعية فتثرثران معاً، وقد تنضم إليهما إحدى المدرسات، متحدثات بالساعات عن الأولاد والأزواج والزملاء وزواج فلان وطلاق علانة وأفضل طريقة لصناعة البيشاميل، حتى إنني طرطقت أذني ذات يوم وسمعت حواراً لم أفهم جلّ كلامه ولكني أدركت أن إحداهن كانت تشتكي من ممارسة زوجها الجنسية معها بينما تواسيها الأخريات. ولذا كانت تكرهني، رغم هدوئي، حيث إنني زبونها الوحيد من الطلبة الذي يكسر عليها جلسات النميمة والثرثرة، بالإضافة إلى قلة من المدرّسين الذين يأتون على فترات متباعدة بحثاً عن معلومة أو لتحضير درس جديد. كانت تسألني لماذا لا أذهب لألعب مع زملائي، لماذا لا ألعب الكرة أو أشاهد فريق المدرسة وهو يلاعب فريق مدرسة سانت كاترين. كانت تلقي بأسئلتها في لهجة مستنكرة ومتقزّزة، لم أهتم وداومت على الحضور بشكل يومي على مدار العام، وانتهى بحثي عن الملاكين دون جدوى، إلا أنني قبيل نهاية العام قرأت في كتاب أصفر صغير عن مكان غريب يختفي كل من يذهب إليه، اسمه مثلث برمودا، وتصوّرت لوهلة أنهما قد يكونان ألقيا هناك.

■■■

في يوم لاحق جداً، في المرحلة الإعدادية، اصطحبنا مستر محمود، مدرّس اللغة الإنكليزية، إلى المكتبة لمشاهدة فيلم «هاملت»، نسخة لورانس أوليفيه، كانت المسرحية مقرّرة علينا في ذلك العام، عرض علينا مستر محمود النسخة التي أهداها له والدي بعد أن سجّلها من برنامج أوسكار، القناة الثانية، في سهرة ليلة الخميس السابق، على شريط فيديو «باناسونيك» ذي جودة عالية. كنت قد توقفت عن ارتياد المكتبة منذ سنين، ولكن عند دخولي ضمن طلاب فصلنا، رمقتني أمينة المكتبة بنظرة لا تُنسى، شديدة الغلاظة، إلا أنني تجاهلتها وزاحمت أصدقائي ساعياً إلى مكان مميز أمام الشاشة المعلقة أعلى الجدار. كانت المكتبة أصغر من أن تضم طلاب فصلنا جميعاً، وبدت الأمينة في شدة الغضب من مستر محمود الذي عطّل خططها للنميمة مع صديقاتها، وملأ لها المكان بالمراهقين والأطفال.

جلس البعض على الأرض ووقف آخرون خلف الكراسي، وحملت أغلب المقاعد شخصين متلاصقين، جلست بجوار منة، لا تظن أن الأمر كان صدفة، لقد تعمّدت الجلوس بجوارها في ذلك الزحام، حتى التصق فخذانا، وسرحت في تخيله، لا بد أنه أبيض مرمري ناعم، تماديت في الاقتراب منها، فمي قد يلامس شفتيها إن استدرنا في لحظة واحدة، اقتربت أكثر وشعرت بسخونة جسدها وكدت أضع يدي على تنورتها الرمادية متحسّساً جسدها اللين البضّ، ولكنها ضحكت ضحكة خفيفة وعلّقت بدلال على مدى التصاقنا. التقطت أمينة المكتبة تلك الضحكة وصرخت في «ماذا تفعل بفخذ زميلتك؟؟» لم أكن فعلت شيئاً بعد! ضحك الجميع وأكثرهم منة، التي لم يبدُ عليها الخجل بقدر ما لمعت عينها بالنشوة، فاغتاظت المرأة ذات العباءة السوداء وثارت آمرة إياي بتغيير مكاني والجلوس في كرسي آخر، ابتعدت عن منة وتابعت هاملت وهو يمثل مسرحيته أمام عمّه مترقباً ردود فعله على مشهد قتل الأب، نظرت إلى منة التي بادلتني الابتسامات وظننت أنها بالتأكيد أجمل من أوفيليا.

نسيت الملاكين وغرقت في حب أوفيليا، أقصد منة، ورأيت فخذها ولكني لم أمسسه، وظننت أن قصة المدرّسة الضئيلة وهمية، سألت زملائي عن المدرّسة والقصة إياهما، فلم يتذكر أي منهم شيئاً، تشكّكت في ذاكرتي، إلا أنني ما زلت أذكر شكل المدرّسة التي تبدو في هيئة الموتى وهي تحكي لنا القصة،

ملاك في منمنمة مغولية بأسلوب بخارى (القرن 16)

نصّ

ملحوظات حول الشعر

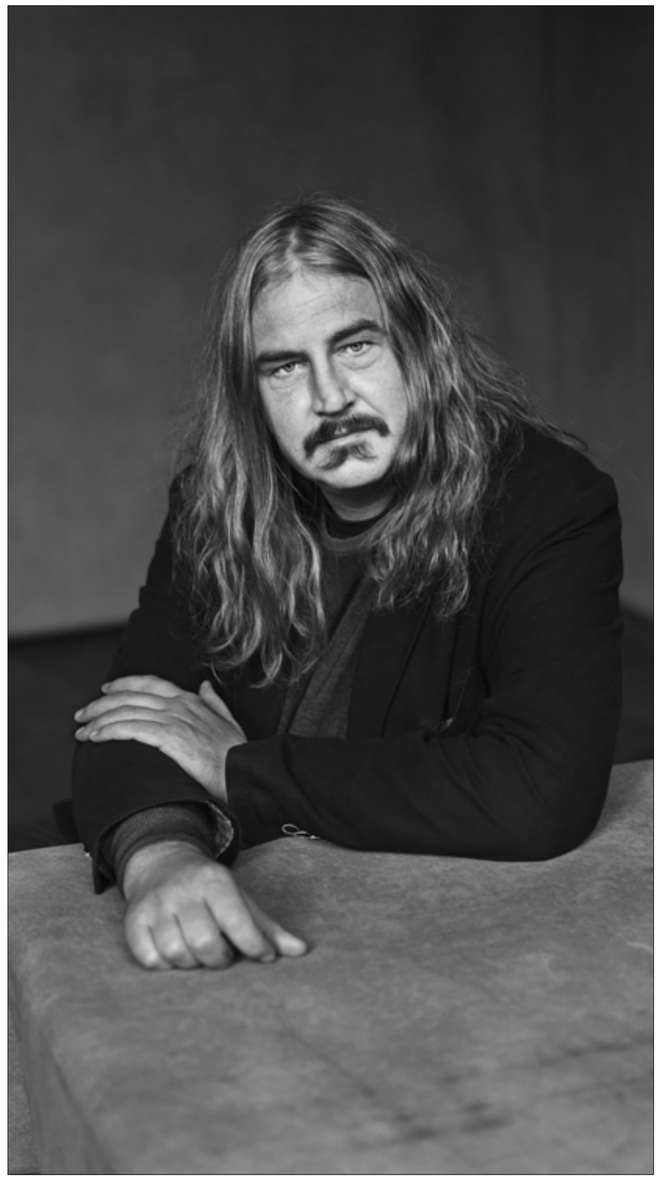

إيليا ليونارد فايفر *

ترجمة مهدي النفري

1. الشّعر المبهم دائماً أفضل من الشّعر السهل: أطالب بشعر غريب لا يقاوم. الشّعر الذي يريد أن يتألق ويتجدّد. الشّعر الذي يتم فيه تقسيم اللغة نفسها، كلمة بكلمة. لغة تهشم وتناقض نفسها، كسيمفونية مبتكرة لم يُسمع بها من قبلُ، بأشكال جديدة غير متخيّلة. أريد إعادة اختراع اللّغة لكلّ قصيدة. أريد أن يتعلّم القارئ القراءة مرة أخرى لكلّ قصيدة. حيث هناك ما يكفي من اللّغة المستعملة.

2. وفتحت السّماوات كحافر مشقوق، بعيداً شُوهد شخص يتدحرج ويسقط من خلال سحابة من السماء على أرض البشر. وكان الشكل محجوباً بجناحه، لأن جناحيه خافقان قام باستبدال موطنه ولكن ليس وجهة نظره. كان رائياً، رأى ما يؤلم الناس وكيف يحبّون ويموتون. وكان المراقب الذي يحجب ويرى اللّعب، وكان ضابقاً مثل الثّعبان على أرجل متشعّبة ولسان زاحف مزدوج جيّد مع النّاس. فصارت دماؤهم له دماً ولم يكن مثلهم وصار مثلهم خنوثيًا ولا غنى عنه. فخلع ثيابه وفضح نفسَه وأخذ ينهق بلغة الملائكة.

3. عليك أن تدع المنطق السّحريَ يقود اللّغة والصّوت والإيقاع وهي تنجرف بعيداً عن ضجّة الصور والعواطف. يجب أن تتوقّف عن القلق بشأن حلّ التّشفير. القصيدة لغة وصورة وموسيقى. لا يوجد معنى يخفيه الشّاعر بطريقته السّاديّة خارج القصيدة. قراءة القصائد هي طريقة أخرى في التّفكير. عليك فكُّ رموز رأسك التحليلي الذي يريد أن يفهم ما يجري.

4. ليس الأمر أن الشّعراء الشديدي المراس يجعلون الأمور صعبة لأنهم يجدونها ممتعة أو لأنهم يعتقدون أنها يجب أن تكون كذلك، أو لأنهم يريدون تعذيب القارئ. تكتب القصائد المعقّدة لأن الواقع معقّد. يعتقد الناس (مئة ونصف) كاملة من الأفكار والمشاعر والمخاوف والنكات والعجائب والذّكريات في الوقت نفسه. لا أريد تقليل هذا التعقيد من خلال إبراز جانب واحد ومعالجته بشكل منفصل. أريد أن أسجل سيمفونية الارتباك الكاملة في رأسك.

5. يصبح الشّعر مثيراً فقط عندما تُخضع اللّغة نفسها للتجربة، وعندما تثني اللغة نفسها، تهشم وتعيد بناءها بطريقة جديدة. لكن هذه مجرد ميزة على حساب الوضوح. الكلمات العامية العادية كافية بالفعل. الكتابة الجيّدة أمر خطير.

* إيليا ليونارد فايفر (1968) عُرِفَ عن هذا الشّاعر والرّوائي الألماني أنه كاتب ذو مفردات غريبة، حصد الكثير من الجوائز عن رواياته، وهو يقيم منذ سنوات في إيطاليا. من أشهر أعماله: «باسم الكلب»، و«حياة حقيقية» و«الرّجل من طرق شتى».

قصيدة

الوقت

عبد الوهاب الملوح *

يتداعى الوقت
أنباء غبار عاطل تطرده مكنسة
الطيش من أروقة الظل،
من الزحف ببطء في ممرات صداع
الذاكرة:
غاية ما في الأمر،
أن البيت يحتاج إلى نافذة محلولة
الشعر
فالحلم عريس سيّئ السمعة يشكو
دائماً من قلة الحيلة
وبوسع الغابة العمياء
أن ترفو الخطى بين المحطات،
مضى العمر قليلاً
كرثاء عاجل؛
تعزيةً رسمية للضوء ينعاه
غبار الجدران الخائنة
هل كان عمراً
أم ممراً في سؤال عالق
بين عواءين على حافة معنى
جالس يصطاد في مقبرة الغيب
ها قد مضى العمر قليلاً
وتداعى مزقاً بعثرها الوهم
ودابة الانتظارات.
يذهب الحرف بعيداً، تهرب الأيام فيه
شغفاً
يسقط في حصالة الخيبات،
في قهقهة النسيان؛
ما أقسى يد الحرف تجرّ الموت منا
لكأن الموت جارور أيدينا
وهو ما يحدث في العادة.
من الممكن ترتيب مشاقّ التعب:
تهريب الصباحات من الفكرة العاطلة
والقهوة المستعجلة،
تدبير أشغال المرايا ومناديل المزاجات
وتدريب النهايات على ترتيب
ديكورات أخرى تأخذ السُّكّرَ في
الاعتبار؛ ذلك السُّكّرُ يعتق الوقت من
تداعيات عقاربه فيفيض أو يتجمّد أو
ينتحر.

* القاهرة

* قفصة/تونس

دراسة

علي الديري... عن السلطة السياسيّة وإنتاج المعرفة الدينيّة

أحمد السعيد

التراث صحراء مليئة بالألغام التي خلّفتها حروب أسلافنا السياسية، فتحولتْ على رمال التاريخ المتحركة إلى عقائد مقدّسة نحملها في طيّات أفئدتنا، بانحيازاتها، بالإسناد الذي خرج من رحم حروبها فصار عِلماً يُعرِّف لنا من هو الثقة ومن هو ليس كذلك، ما هو صحيح السند وما هو ليس بصحيح، من دون أن نسأل: كيف اختلف الناس في تقييم الرجال، بل كيف صنعوهم، ومن أين نشأت هذه الصناعة؟ كيف يكون الراوي الواحد ثقةً لا يُشكُّ فيه عند البعض، وفي الوقت نفسه كذوباً لا يُؤخذ منه عند آخر؟

يقوم كتاب الباحث علي أحمد الديري الصادر هذا العام بعنوان «خير القرون: كيف نفهم الخير في التاريخ؟» (مؤسسة الانتشار العربي) على حديثٍ يُنقل في كُتُب الصحاح، كالبخاري ومسلم، وغيرهما بصيغ متعددة، يقول متنه: «خير النّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوامٌ شهادة أحدهم يَمينه، ويَمينُهُ شهادته». وهو ما يُعرَف بحديث خير القرون.

إن وظيفة الكتاب ومؤلفِهِ هنا هي تفكيك ألغام علم الإسناد بوصفه ليس علماً موضوعياً البتّة، والحفر في الكيفية التي أصبح فيها حديث «خير القرون» بمثابة كوجيتو المحدثين وأهل السلف، وواحدٍ من المبادئ التي يتم من خلالها تقييم صدق الراوي وإمكانية الأخذ منه أم لا؛ فهو نزيه بقدر ما يؤمن بخيرية قرن النبي وقرنائه، وتابعي هؤلاء القرناء، وتابعي تابعيهم. أصبح «خير القرون» عقيدة مقدسة ممزوجة بالسياسة، أو بالأحرى خرج من رحم التاريخ السياسي وسُلطته، ولذلك يقول المؤلّف: «إن التحدي الذي يواجهه الباحث المعاصر هو كيف نحول المقدّس إلى تاريخ، وهو عكس المعركة التي خاضها أهل الحديث في ذلك الوقت وهي كيف نحول التاريخ إلى مقدّس» (خير القرون، ص 57).

هذا هو المنهج الذي يبني عليه الديري دراسته، فهو لا يقوم بإعادة نبش كتب الحديث والرجال ليثبت ما هو مثبت سَلَفاً، إن هذه مهمة العقل السلفي الذي يريد استئناف الماضي وإحياء التراث من خلال التراث، ويُقيم عمود خيمته بالاستشهاد بما في كتبه وكتب الخصوم من دون الخروج عن هذا الماضي ومتخيّلاته ومقدساته المتصارعة. على عكس ذلك، فإننا نقف في هذه الدراسة أمام عقل نقدي يحاول إعادة إنتاج فهمنا للتراث من خلال فهم البُنى المتصارعة في تاريخه، حين يريد المؤلّف الإجابة على سؤال: كيف تُنتج القوى المتصارعة في هذا التاريخ علومها وانحيازاتها؟ فإنه لا يقوم بالعودة إلى البُنية المقدسة، بل إلى التاريخ الذي أنتج هذه البُنية. إنه حين يواجه حديث خير القرون، يعود إلى التاريخ ويُخرج أسئلته عليه، فيقول: «لو ذهبنا لقراءة تاريخ خير القرون هل ما سنجده هو الخير، أم سنجد شراً كثيراً؟ حروباً، واقتتالاً، ودماءً، وحوادث دامية بين خير الناس؟ سنجد صراعات مريرة بين هؤلاء الذين عاشوا تلك القرون وصنعوا تاريخها؟ فكيف هي خير القرون وفيها الشقاق والخلاف والاحتراب الذي نحن ورثته اليوم؟» [خير القرون، ص32].

حين نقرأ الكتاب من فصله الأول، يتبين لنا كيف يرتبط حديث خير القرون بقرون التدوين، قرون الانتقال من التراث الشفاهي إلى التراث الكتابي، وفي هذا الانتقال تضيع الأشياء أو تتحور أو يُزاد عليها، فقد خضع تدوين الخير في تراثنا لكل هذه العمليات. وسيتبين لنا ما علاقة ذلك بالسلطة، كما نجده مثلاً في الكيفية التي وجّهَ فيها الخليفة المنصور مالك بن أنس (179-93 هـ) لكتابة الموطأ، وكيف أراده أن يقوم بتوطئة الفقه وتدوينه في علم واحد، وفقه واحد يكون للدولة وينتظم فيه الناس: «يا أبا عبدالله دَوِّن كُتُباً وجَنِّب فيها شَدائدَ ابن عمر ورُخَصَ ابن عباس وشواذَ ابن مسعود واقصد أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة (...) واجعل العلم علماً واحداً. فقلت: يا أمير المؤمنين إن أصحاب رسول الله (ص) تفرّقوا في البلاد فافتى كُلّ في مصره بما رآه، إن لأهل هذه البلاد قولاً، ولأهل المدينة قولاً، ولأهل العراق قولاً تعدوا فيه طورهم. فقال الخليفة: أما أهل العراق فلستُ أقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، إنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم» [خير القرون، ص42-44] نقلاً عن القاضي عياض في ترتيب المدارك ج2 ص72-73].

عقل نقدي يحاول إعادة إنتاج فهمنا للتراث

ستحيل فكرة «خير القرون» بفضل التدوين ليس إلى خير الصحابة وخير التابعين وتابعي التابعين، بل إلى خير الإسناد كما يتضح في توجيه المنصور لمالك بن أنس: (جَنِّب شدائد ابن عمر ورُخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود واقصد أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة. العلم علم أهل المدينة)، من هنا ستبدأ فكرة خير الأعمال عمل أهل المدينة كما ستتبلور في خارطة ابن تيمية (661-728 هـ) للخير، فيحدد الخير حسب القرب من المدينة المنورة جغرافياً والقرب من قرون الخير زمنياً. سيصبح الإسناد شيئاً فشيئاً من الدين، بل هو الدين الذي تأخذ منه كما سيقول عبدالله بن المبارك (118-181 هـ): «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». (صحيح مسلم 1/15)، ولكن ما سنفهمه في هذا الكتاب أن الإسناد ليس من الدين إنما من التاريخ.

يتناول الفصل الأول أيضاً فكرة الإجماع التي سيُؤصَّل لها الشافعي (150-204 هـ) في رسالته وفكرة لزوم الجماعة، وكيف سيرتبط كل ذلك: - خير القرون، خير الإسناد، ولزوم الجماعة - بفكرة تحصين الصحابة عند ابن تيمية.

في الفصل الثاني، يناقش الكاتب مِحنة الطبري مع الحنابلة، وهي ليست محنة الطبري في عصره وحسب، إنما محنة المثقف الذي يحتفي بالاختلاف مقابل خطاب نبذ الاختلاف، وخطاب الفرقة الناجية، عن طريق تفكيك لُغة الطبري في كتبه المختلفة مقابل لُغة كتاب «صريح السُّنَّة» الذي يُنسب إليه، في محاولةٍ لإنتاج نسخة سلفية للطبري.

أما الفصل الثالث والأخير، فيتناول بتفصيلات أكبر نشأة الإسناد، ومدارات بعض المحدثين الذين تم اعتمادهم كمحدثين ثقات وكيف أن هذا الاعتماد يتعلق بالنسب العربي الذي كان يُحتفى به في العهد الأموي، وبمدى القرب والولاء إلى السلطة وانحيازاتها وليس بمدى العلم والحفظ، ويخبرنا فيه كيف أخذت الحاجات السياسية للسند تتضاعف، وكيف تضاعفت معه المدوّنة الحديثية، ما يُضعِفُ في علم السند نفسه، فلو كان هذا العلم علمياً وغير منحاز، فلماذا كانت مدونات الحديث تتضاعف بدل أن تقلّ؟ أليس من الواجب أن تقل بعد التمحيص والتدقيق؟!

يركز الكتاب على معالجة مشكلة الإسناد لدى الطائفة الكبرى من المسلمين، لما له من خطورة وتأثير أوسع على العقل الإسلامي في وقتنا هذا؛ ففي بحثه المعني بخير القرون ومدارات الإسناد التي أنتجتها السلطتان الأموية والعباسية، لم يَسعه أن يخبرنا عن المدارات الأخرى، حيث لم تكن أي من الفرق الإسلامية بمنأى عن التقويل على النبي وأصحابه وأهل بيته، ولم يَسلَمْ حتى المتصوفة الأبعد عن الأغيار - الدولة والمال والجاه - من ممارسة التقويل كآلية دفاعية لترسيخ الذات وجودياً، مع الاختلاف في طبيعة التقويل ودواعيه ولغة خطابيه بالطبع.

لقد كانت مدوّنة ابن شهاب الزهري وهي أول التدوين لا تتجاوز 2200 حديث. أما اليوم فهناك مئات الآلاف منها. وهناك خارطة لتطور الخطاب الشيعي ومدوّناته يخبرنا عنها المحقق العراقي هادي العلوي في مقالة مشتركة مع الباحث علاء اللامي بعنوان: «الجذور الطائفية في العراق» ويصف الكيفية التي تغيرت فيها لغة هذا الخطاب مع صعود أول دولة شيعية في الإسلام وهي دولة البويهيين (320 - 454هـ) فيقول: «المؤرخ الشيعي الوحيد الذي يمكن الركون إليه والتعامل معه كمؤرخ محترف هو اليعقوبي الذي عاش في القرن الثالث ولم يتصل بالحقبة البويهية، وكتابه في التاريخ يوازي كتاب الطبري ونظرائه من حيث الموثوقية والنزاهة. وقد يكون كتاب -الكافي- للكُلَيني أول كتب الشيعة الاثني عشرية وفاتحة نشاطهم اللاحق (...) وأخبار الكافي موثوقة في العموم عدا الأساطير العقائدية في الأئمة، وهو كتاب يخلو من الهجوم على أبي بكر وعمر (...) مع بدايات البويهيين برز ابن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق وهو من أغزر مؤلفيهم إذ كتب حوالي ثلاثمئة مصنف في التاريخ والأدب والفقه، وكان في خراسان وراجت مؤلفاته عند شيعة العراق. لكن الأبرز والأكثر تأثيراً هو الشيخ المفيد وكان في العراق في عز الحقبة البويهية، وألّف نحواً من مئتي كتاب في التاريخ والعقائد والفقه وقد حظي برعاية عضد الدولة البويهي، وضمّن مؤلفاته أخباراً ملفقة كثيرة بطعن فيها بالخليفتين والصحابة. وهو الذي أطلق للرواية الشيعية خيالها الجامح (...) وكتاباته استفزازية تثير التوتر». [هادي العلوي، المرئي واللامرئي في الأدب والسياسة ص112-113].

هذه خارطة مختصرة لتطور لغة الخطاب الشيعي من لغة أخلاقية في التعاليم الأولى لأهل البيت المحمدي، ونزيهة في تاريخ اليعقوبي إلى لغة لا أخلاقية وموجهة الأخبار من قبل السلطة السياسية وغاياتها. يحظى المفيد وخليفته المجلسي الذي كان مرعياً من الصفويين أيضاً بحضور واسع في الخطاب الشيعي المعاصر بينما يندر ذكر اليعقوبي وأخباره. وهنا يبرز السؤال مجدداً: ما الذي يحدد ما هو الصحيح والخطأ، من هو الثقة ومن هو ليس كذلك؟ من الذي نأخذ منه ومن الذي لا نأخذ؟ إنها السلطة، تاريخ السلطة هو تاريخ إنتاج المعرفة، ومن يحتكر السلطة يحتكر إنتاج المعرفة.

لمحات

روضة غنايم

يروي «حيفا في الذاكرة الشفوية: أحياء وبيوت وناس» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) للباحثة الفلسطينية روضة غنايم تاريخ مدينة حيفا عبر سرديات الناس. تتتبّع المؤلفة تاريخ خمسة أحياء في حيفا، هي: العتيقة، الكولونيّة الألمانية، عبّاس، وادي النسناس ووادي الصليب، من خلال روايات شخصية لأفراد سكنوا الأحياء الخمسة، يحكون تاريخ عائلاتهم وتفاصيل حياتهم اليومية وتجاربهم حينما تمكنوا من العودة إلى بيوتهم بعد انتهاء المعارك عام 1948، ليجدوها قد تعرّضت للغزو والنهب والتدمير. يكشف الكتاب الستار عما حصل في الماضي ويروي آثار النكبة المستمرة. يضم الكتاب صوراً من ألبومات الناس الشخصية تسمح بتعقب تاريخ المدينة وما شهدته من أحداث منذ نهاية الحُكم العثماني في بلاد الشام إلى أيامنا الحاضرة.

محمد كرد علي

بعد حوالي قرن على نشر «خِطَط الشام» للعالم اللغوي والأديب السوري محمد كرد علي، تُقدّم «دار تكوين» للقراء طبعة جديدة من الكتاب بعد مراجعته والنظر فيه. العمل مؤلف من ستة مجلدات

وهو محصّلة زهاء ثلاثين سنة من البحث والتدقيق وموضوعه الرئيس خِطَط الشام الممتدّ من عريش مصر إلى الفُرات، ومن سفوح طوروس إلى أقصى البادية، والخِطَط إنما يُراد بها حضارة بلاد الشام وعمرانها وتاريخها ومناحي ثقافتها كافة من مدنية واجتماعية وسياسية، من فترة ما قبل الإسلام حتى القرن العشرين. وصف محمد كرد علي بدقة عادات الشاميين في سوريا ولبنان، والأردن وفلسطين، وتناول تجزئة الشام بعد تهاوي الدولة العثمانية إثر الحرب العالمية وصولاً إلى تاريخ الصهيونية مؤكداً على عدم أحقية اليهود بأرض فلسطين التاريخية.

جون دوس باسوس

«الشرق يزخر بالقداسة والسعادة» هذه هي الرسالة التي أراد الروائي والفنان الأميركي جون دوس باسوس إيصالها في كتابه «قطار الشرق السريع» (1927) الصادر بترجمة عربية عن «منشورات الجمل» (ترجمة خالد الجبيلي). يُعدّ العمل واحداً من أهم كتب أدب الرحلات، ويروي جون دوس باسوس فيه مذكراته عن الرحلة التي قام بها عام 1922 عبر أوروبا الشرقية والشرق الأدنى والشرق الأوسط، مُركزاً على المشاهد الطبيعية والأصوات والروائح. تمتد رحلته من جورجيا إلى أرمينيا والمغرب، وإيران والعراق وسوريا. وقد اجتاز البادية السورية، ورأى آثار الحرب اليونانية التركية، وذهب إلى القوقاز، واستكشف بلاد فارس خلال فترة صعود رضا خان، ودَوّن تأسيس العراق الحديث على يد البريطانيين.

محمد المطرفي

في المساحة الفاصلة بين الخيال والواقع، يبني الروائي السعودي محمد المطرفي أحداث روايته «فنجان قهوة بصحبة جاك بريفير» الصادرة عن «دار أثر للنشر والتوزيع». يتناوب الكاتب وبطله على سرد قصة الأخير الذي تتداعى حياته وعلاقاته الأسرية والزوجية بفعل كابوس مريع يرى نفسه فيه يُجلد على يد مارد عملاق في سجن لا يعرف عنه شيئاً، ولا يدرك لأي سبب هو فيه. يطارد هذا الكابوس بطل الرواية، إلى أن يهيمن على تفكيره وتصرفاته التي تثير نفور الآخرين منه. لا يجد بطل الرواية سبيلاً للخلاص من كابوسه سوى تجنب النوم والهرب منه. لكن الوقت الذي يقضيه دون نوم، يجعل منه شخصاً انطوائياً عدوانياً شرساً يتداخل عنده الخيال بالواقع، والحلم باليقظة، بطريقة فوضوية لا يستطيع عندها التمييز بين هذه الثنائيات المتضادة التي تتقاذفه.

نادية رشاد

«أنا من عُتقاء جمال عبد الناصر. نعم أعتقني من مستقبل مظلم حين سمح لي ولأمثالي ممن يمرون بظروف مالية عسيرة أن يدخلوا الجامعات والمعاهد العليا، لا بشهادات فقر تحني رؤوسهم، بل بمجانية التعليم». هكذا تُبدي أحلام بطلة رواية «مسك الليل» (دار الشروق) للكاتبة والفنانة المصرية ناديا رشاد إعجابها الشديد بناصر وسياساته الاشتراكية. تنحاز الكاتبة إلى المرأة بقوة، فتُقدّم رواية سياسية واجتماعية متعددة الأصوات بنبرة سردية عذبة، تُعبّر فيها عن مشاعر خمس سيدات تجاوزن عمر الشباب حين يتزلزل عالمهن الصغير بفعل انطلاق ثورة 25 يناير. تحكي الرواية عن هؤلاء السيدات المختلفات في الهيئة والميول والانتماءات السياسية اللواتي يجتمعن في ركن هادئ في ناد اجتماعي تُزينه شجيرات مسك الليل ليحكين عن مشاعرهن الخاصة وآرائهن وكيف تغيرت حياة كل واحدة بعد الثورة.

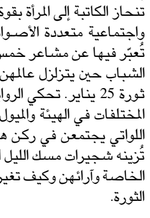

سرد

عزت القمحاوي يُصافح القارئ ويدعوه للدخول

مهند عبد العظيم

أعادت «الدار المصرية اللبنانية» إصدار كتاب عزت القمحاوي «الأيك في المباهج والأحزان» الذي صدرت نسخته الأولى عام 2002 عن «دار الهلال». سبقت هذا الكتاب ثلاثة أعمال منها مجموعتان قصصيّتان هما «حدث في بلاد التراب والطين» و«مواقيت البهجة» ورواية «مدينة اللذة». ثم أتى كتاب «الأيك في المباهج والأحزان». في معجم اللغة العربية، تعني كلمة الأيك الشجرة المتداخلة أو الملتفّة. وبالعودة إلى فعل «أيك»، فهو دلالة على الإثمار. تبدأ الطبعة الجديدة بعنوان «مصافحة جديدة» وهي مقدمة الكتاب في ثوبه الجديد، حيث يورد الكاتب المصري: «الكتاب الذي يتمتع بنعمة النقص، يجد فيه القارئ مساحته الخاصة ويتمتع معه بحريته في فهم الفكرة وإكمالها، وهذا يجعل من الكتاب كتاباً مختلفاً مع كل قارئ، بل إنّ القارئ الواحد يختلف عن نفسه عندما يعود إلى الكتاب ذاته في قراءة جديدة». وفي تلك الدعوة إلى المصافحة ربما، تفهّم بأنها محاولة لتجنّب عشم القارئ في كتاب كامل أو تفهّم بأنها دعوة فعلاً إلى مصافحة الدخول إلى عالم مفتوح أو إلى كتاب لا يتبع التصنيف المتعارف عليه عالمياً وعربياً في نوعية الجنس الأدبي.

تلك المصافحة هي بداية دخول عزت القمحاوي نفسه إلى كتابة النص الأدبي الحرّ الخارج عن الأجناس الأدبية، ودعوة إلى الكتابة التي هي قراءة مستمرة كما يعرفها الروائي الإسباني الشهير خابيير مارياس. يبدأ الكتاب بتأمل الحواس ثم يأخذك في رحلة إلى علاقة الكتابة بالمكان ثم علاقة الإنسان بجسده، وبينهما تقديم نقد للحداثة وتأثر المجتمعات العربية بالحداثة والنيوليبرالية. ثم يتأمل كل شيء عبر منظور كتب التراث، لذا هو دعوة إلى قراءة مستمرة بداية من التراث حتى أعمال مختلفة من الروايات المترجمة. مصافحة تدعو المتلقّي إلى قراءة أيك الحياة نفسها.

في عمله «الكاتب وكوابيسه»، يورد إرنستو ساباتو (1911 ـ 2011): «لا شيء حقيقياً في الفن غير الذاتية المتطرفة البعيدة عن أي تزييف، وكل ما عداها يبقى شيئاً مشكوكاً فيه وموضوعاً للنقاش». هناك مشكلة في العالم العربي في التعامل مع النصوص الذاتية، بداية مما كتبه طه حسين في كتابه «الأيام» حتى يومنا هذا. يتساءل بعضهم ماذا يستفاد من كاتب يكتب عن نفسه وعن تأملاته كأنّ العالم التخييلي الذي يشيّده الكاتب ويكتبه في رواية أو قصة، لا ينبع من نفسه، بل من تجربة شخص آخر مثلاً. وفي هذا الكتاب الذي يصنّف ككتاب ذاتي،

استدعاء كتب التراث كمحاولة لفهم الماضي أو نقده

تجد أن ما طرحه ساباتو جزء صحيح وآخر خطأ. الجزء الصحيح أن الكتابة سواء ذاتية أو تخييلية تحفّز دوماً بشكل ما على سبر أغوار النفس واكتشافها، بل وأنت تكتب، تجد نفسك في عداد الموتى، الكتابة هي محاولة للخلود، أو محاولة لمواجهة الموت. والجزء الخاطئ أنّ كل كتابة، أياً كان نوعها، هي شيء مشكوك به، لأنّ لا كاتب يكتب الحقيقة كما هي أو كما أورد القمحاوي في كتابه: «فالاتهامات بالمبالغة واقفة دائماً بالباب لخيال الكاتب الذي لا يملك إلا أن يبتسم في مواجهتها، لأنه وحده يعرف أن الحقيقة كانت أكبر وأنه اضطر إلى تخفيفها لتصير أدباً». وإذا أراد العالم تصنيف الكتابة الأدبية تبعاً للتصنيفات الرائجة، فمن الأفضل أن يكون هناك أدب ولا أدب، والأدب الحقيقي وحده هو الذي يدعو القارئ إلى الشك في أفكاره وما يظنه صحيحاً، ويدفعه إلى التأمل عبر منظور آخر، واللاأدب هو الذي لا يثير أي شيء بداخل القارئ. وما كتبه القمحاوي في هذا العمل أدب حقيقي لأنه دعوة إلى تأمل كل شيء بعين الفن لا بعينه، أو بعين خاضعة لوجهة نظر مسبقة لا تقبل غيرها. مصافحة عبرها قد يغربل عالم القارئ الذي لا يعرفه. يكتشف القارئ علاقته بحواسه عبر حواس الكاتب، ويتأمل المكان عبر عين الكاتب ويراه مكاناً آخر. لذا ما يحققه الكتاب هو دعوة لتأمل الشيء نفسه لكن بإحساس مختلف.

في منتصف الكتاب، يظهر بوضوح استدعاء القمحاوي للمكان وعلاقته بالكتابة، واستدعاء لكتب التراث كمحاولة ربما لفهم الماضي أو التعلّم منه أو حتى لنقده. يشتبك الكتاب مع كتب التراث بقوة، مستدعياً إياها أحياناً للدلالة على حرية قد لا يملكها إنسان اليوم أو قد يستدعيها لنقدها، أو نقد أفكار مضت وما زالت المجتمعات العربية متأثرةً بها. كما أن الكتاب يحاول دعوة الحواس لتأملها، هو أيضاً يدعو إلى تحرير النفس من القيود الدينية والسياسية والاجتماعية الخاطئة. يكتب عزت في فصل «الوجود نصف المخفي»: «والشرفات عيون البيوت، ليست مجرد تفصيل في البناء، لكنها التعبير الجمالي عن الرغبة في التواصل مع الآخرين». من خلال شرفة الأيك، قد تتكون رغبة في التواصل مع كتب التراث ومع المكان وحتى مع النفس، بشكل مختلف عما سبق. يشيّد القمحاوي عبر شجرة الأيك عالماً كاملاً. ينتهي الكتاب بنص بعنوان «القصة الأخيرة» تبدأ بأن هناك شروراً لمهنة الكتابة توقع عدداً كبيراً من الضحايا. ثم تسرد قصة كاتب ظل يكتب حتى السبعين، ثم مات تاركاً ما كتبه إلى كاتب آخر، ثم يسرد جزءاً من رواية قصيرة له تنتهي برمزية عودة حبيب من هجرة إلى كنف حبيبته بسبب ورقة بيضاء. وربما هذا ما قد يفعله أيك القمحاوي أو ما يقصده بالعودة إلى تأمل كل ما ذكره في الكتاب، لكنّ الفارق أنها دعوة عبر ورق مليء بالحبر.

بحث

أيّ تغيير على جناح الإعلام الرقميّ؟

يارا سعد

مع التطور الهائل تكنولوجياً واتصالياً، ما عاد الإعلام حكراً على السلطة الحاكمة أو المتحكّمة بقناة الأخبار... بل إن الاتصال صار أكثر جماهيرية وبات بمقدوره عرض القضايا الاجتماعية بمعزل عن «رؤية السلطة». من هنا تتجلى تساؤلات حول دور التقنيات، «هل بتنا نعطيها سلطة أكثر مما تستحق؟ أم أنها مجرد أدوات؟ وهل تتحكم أيضاً بمفاتيح الحوكمة، مستقبلاً؟».

هذه التساؤلات تُشكِّل موضوع كتاب «الاتصال بين الالتزام والإلزام»، الذي يحاول تبيان «مدى نجاعة الاتصال الملتزم لناحية الفضاءات البديلة، والمهنة الإعلامية، والفهم والتفسير، والسياقات الاجتماعية والثقافية، والاستخدامات والرهانات، وعمليات التعبئة والتفسير، والتوجهات السياسية، وفي النهاية المجموعات المنظّمة».

صدر الكتاب عن «دار النهضة العربية» وقد حرّره وقدّم له الأستاذ في الجامعة اللبنانية غسان مراد. الكتاب نتاج 11 ورقة بحثية عُرِضَت في المؤتمر الأوّل لمركز الأبحاث في كلية الإعلام - الجامعة اللبنانية بعنوان «الاتصال الملتزم / الملزم في ضوء التطورات التكنولوجية والاتصالية الراهنة - إشكالياته، آفاقه» في بيروت عام 2018، بمشاركة أكاديميّين عرب من لبنان ومصر والجزائر وقطر. وإذ تنوّعت الأوراق في زواياها ومقارباتها، من جدلية الضبط والاستقطاب إلى السياسة والسوسيولوجيا وغيرها... فإنّها تمحورت بمجملها حول التقنيات الرقمية عموماً، واشترت بانطلاقها من «الإعلام/ الاتصال الملتزم».

والإعلام الملتزم، بحسب ورقة أستاذ علوم الإعلام في جامعة قطر عبدالله الزين الحيدري، هو «فعل لا يخلو من نزعة احتجاجية واسعة النطاق على واقع الاستبعاد الذي يمارسه الإعلام الجماهيري المماسُن»، وهو أيضاً «فعل يرمي إلى تحقيق غاية اجتماعية مشتركة، وهذا ما يجعله مكتسباً لصفة الفعل الاجتماعي».

في سياق غير بعيد، تستنتج الأستاذة المساعدة في الجامعة اللبنانية كلية الإعلام لمى كحّال أن «الاتصال الملتزم عبر الفضاء الرقمي لعب دوراً فاعلاً في التقدم في قضايا النساء، وفي تفعيلها وإيصالها إلى الأطراف المعنية». في دراستها، تَتَبّع إدارة المادة الإعلامية والاتصالية وتحديداً الرقمية لجمعيَتَي «كفى» و«أبعاد» في «قضيّة المادة 522». هذه المادة تعفو المغتصب من العقوبة إذا تزوّج المعتدى عليها، وقد ألغاها مجلس النواب اللبناني في آب 2017. تصل الباحثة إلى أنّ المجتمع المدني، في «قضية المادة 522»، هو من وضع «إطار الالتزام وحدّده وعرّفه موظفاً قنوات ومنصات الفضاء الرقمي»، رغم أن النتيجة «جاءت مجتزأة»، لأنّ مفاعيل المادة 522 الملغاة بقيت من خلال مواد أخرى في القانون نفسه. عند هذه «الحركات الاجتماعية الجديدة»، توقّفت الأستاذة في الجامعة اللبنانية، كلية الإعلام نهوند القادري عيسى، متّخذةً من «المفكرة القانونية، كفى، أبعاد، مواطنون ومواطنات في دولة، طلعت ريحتكم، وبينة الدولة» عيّنة تمدّها بمؤشرات إضافية حول سمات هذه الحركات وصعوباتها وإشكالياتها وآفاقها.

هذه المجموعات، وفقاً لخلاصة الباحثة، اتسمت بالامركزية وضعف التراتبية وتمحورت حول إشكاليات محلية وشعبية. وواجهت تحدّيات منها الاستقلالية والمواجهة السياسية وشكل التنظيم الذاتي والانتقال من المشاركة البسيطة في النت إلى الالتزام الحقيقي على أرض الواقع وغيرها... مشيرةً إلى اختلاف تجربة مثل هذه الحركات باختلاف أنظمة البلدان السياسية والناشطين وثقافتهم ومهاراتهم، وهو ما أدّى في لبنان إلى «التشتت والإخفاق في ابتكار مساحات للنقاش قادرة على يركز على الحدث أكثر من الظاهرة، والمتميز بالاستعجالية والسطحية والرسمية وأحادية المصدر تقديم من البوّابة السوسيولوجية، تلفت الأستاذة في كلية علوم الإعلام والاتصال في جامعة الجزائر فتحية معتوق، إلى أن الإعلام التقليدي والجديد لا يساعد على التغيير السلوكي. «فلا يمكن للإعلام الذي التحول إلى مختبرات سياسية حية وفعالة».

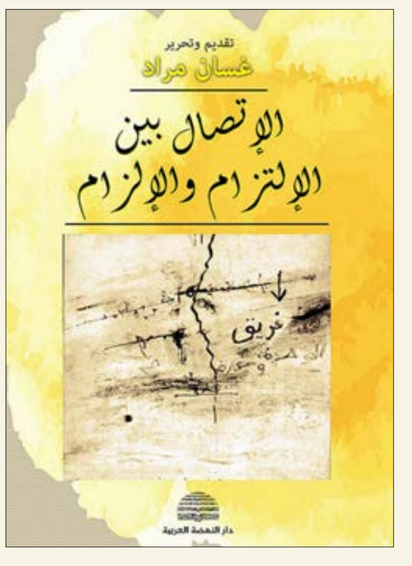

لعب الاتصال الملتزم دوراً فاعلاً في التقدّم في قضايا النساء

معالجة تفسيرية ذات مداخل إقناعية مناسبة ترسخ منهجية الاتصال الملتزم الهادف إلى إحداث تغيير سلوكي إرادي يتوفر في الضبط والالتزام».

سياسياً، ترصد الأستاذة المساعدة في الجامعة اللبنانية، كلية الإعلام زينب خليل مواقع الأحزاب اللبنانية، لتنتهي إلى أن السبب الأساس لإطلاق موقع إلكتروني هو امتلاك وسيلة إعلامية جديدة تخدم عقيدة الحزب، ومجاراة الممارسات الجديدة للمستخدمين ولا سيما فئة الشباب. غير أن أشكال الممارسات التبادلية والتشاركية غابت لمصلحة الاتصال الأحادي الذي يعبر عن الحزب وتوجهاته اليومية.

بينما غاب الخطاب السياسي وكلّ ما يتعلق بالمواقف السياسية عن الإعلام الجديد لدى مراجع الطوائف الدينية في لبنان، بحسب دراسة الأستاذ في الجامعة اللبنانية، كلية الإعلام جمال نون، اقتصر دور المواقع «على الجانب الإرشادي، التبليغي، وعلى النشاطات التقليدية». ومن استنتاجات الباحث، أن انتقال إعلام الطوائف من التقليدي إلى الحديث لم يؤثر في الدور الوظيفي، علماً أنّه بات حاضراً في مختلف الوسائط، وأن الرسائل الإعلامية انحصرت بالوظيفة الدينية، مع نسبة تفاعل ضعيفة جداً من قبل المؤمنين.

في الأوراق البحثية الأخرى، يغوص الأكاديميّون في مواضيع مختلفة، منها: المنصات الشبابية في الوطن العربي، السياقات الاجتماعية والثقافية المحيطة بالاتصال الملزم، الاستراتيجيات الخطابية والقوة التأثيرية في الاتصال الملتزم انطلاقاً من مقاربة لسانية تداولية، الإعلام الملتزم والإرهاب بين السبق الخبري والمسؤولية الاجتماعية وغيرها، لتُشكّل «مادّة دسمة» للمهتمّين بالإعلام الملتزم في ضوء التغيرات الكبيرة التي أحدثتها التقنيات.

أوراق

حين دخل الشيطان سفينة نوح

زكريا محمد*

تعرفون قصة صعود الشيطان إلى سفينة نوح. فلم يكن مفترضاً به أن يصعد إليها، لكنه دخل بالبلطجة. تعلق حسب الروايات بذيل الحمار ودخل: «فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه فلم تنتقل رجلاه، وجعل نوح يقول له: ويحك أُدخل، فينهض فلا يستطيع، حتى قال له: ادخل وإن كان الشيطان معك، كلمة زلّت على لسانه، فلما قالها نوح خلّى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه. فقال له نوح: ماذا أدخلك عليّ يا عدوّ الله؟ قال ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك؟» (الخازن، لباب التأويل).

وقبل أن نتحدث عن هذه الأسطورة، علينا أن نميز بين الشيطان وإبليس. فهما كيانان مختلفان تماماً، وإن كان بعض الناس يضع علامة مساواة بينهما، كما فعل الجاحظ، الذي أورد الأسطورة ذاتها وتعامل مع الشيطان فيها على أنه إبليس: «ومن لا علم عنده يروي أيضاً أنّ إبليس قد دخل جوف الحمار مرّة، وذلك أنّ نوحاً لمّا دخل السفينة تمنّع الحمار بعسره ونكده، وكان إبليس قد أخذ بذنبه. وقال آخرون: بل كان في جوفه فلمّا قال نوح للحمار: ادخل يا ملعون! ودخل الحمار، دخل إبليس معه، إذ كان في جوفه» (الجاحظ، الحيوان).

والحقيقة أن إبليس، الذي يقال إنه آتٍ من كلمة ديابولس Diabolos اليونانية، على علاقة بالزراعة. لذا فهو يظهر في التصوير الغربي Devil وهو يحمل ما يشبه المذراة التي فيها ثلاث شعب، وله قرنان وذيل وظلف. والمذراة رمز فلاحي بالتأكيد. كما أن الحيوانات ذات الظلف مرتبطة بالزراعة والمزارعين.

يؤيد هذا أن اسم إبليس يدعى عند العرب: الحارث أو أبا الحارث، وهو ما يربطه بالفلاحة والزراعة مباشرة: «كان إبليس من الملائكة من طائفة يقال لها الجن. وكان اسمه بالعبرية عزازيل، وبالعربية الحارث» (الدميري، حياة الحيوان الكبرى).

أما الشيطان فلا علاقة له بالفلاحة، فيبدو على علاقة بالصيد لا بالزراعة. دليل ذلك أن الحمار، الذي يرتبط به الشيطان كما رأينا في الأسطورة أعلاه، على علاقة بالصيد في التقليد العربي. يقول المثل العربي: «كل الصيد في جوف الفرا». وكنت عالجت هذا المثل، وبرهنت على أن الحمار فيه صياد، وليس موضوعاً للصيد. وهو صياد لأنه رمز لإله صياد.

وأياً كان الأمر، فإن علينا أن نوضح أن دخول الشيطان مع الحمار لم يكن فعل بلطجة طارئاً، بل هو من صميم الأسطورة ذاتها. فهي التي تقضي بأن عليه أن يكون رفيقاً للحمار. ولهذا دخل مع الحمار في سفينة نوح. فالحمار والشيطان من طبيعة واحدة ميثولوجياً.

الشيطان= الحية

والشيطان في اللغة هو الحية. لكنها حية بعُرف: «الشيطانُ: حَيَّةٌ له عُرْفٌ» (لسان العرب). وأن يكون للشيطان حية ذات عرف، فهذا ما يقربه من الحمار الذي له عرف مثل كل فصيلة الخيليات. يضيف الدميري: «نهيق الحمار يدل على رؤية الشيطان» (الدميري حياة الحيوان الكبرى). وهناك حديث منسوب إلى النبي يربط بين نهيق الحمار والشيطان: «ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ... إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً» (فتاوى الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى الإسلامية). الحمار ينهق لأنه رأى مثيله وقرينه. يزيد المناوي: «وكان بعض العارفين يتمثل له الشيطان بصورة حية في محل سجوده فإذا أراد السجود نحّاه بيده» (المناوي، فيض القدير في شرح الجامع الصغير). ويؤكد هذا الدكتور جواد علي: «ومن القصص المذكور استمد أيضاً علماء اللغة ما ذكروه من أن كلمة «الشيطان» تعني الحية، ففي ذلك القصص [يكون] ظهور الشيطان على صورة «حية» خدعت أبوينا آدم وحواء في الجنة» (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام).

بالتالي، فحين نتحدث عن الشيطان فنحن بشكل شبه مباشر نتحدث عن الحمار والحية معاً.

لكن الحمار يسبق الحية في الأسطورة دوماً. لهذا تعلق الشيطان- الحية بذيل الحمار، أي أنه كان وراءه. فموقعه الدائم وراء الحمار، أي في دبره. بحيث يبدو وكأنهما طوران من مسألة واحدة.

ولدينا نحت حثي كاشف يصور حماراً- أو حصاناً لا فرق- نصفه الأخير حية. أي أننا مع كائن واحد نصفه حمار ونصفه حية. والحية هي النصف الأخير لا الأول كما في القصة. فالشيطان- الحية يأتي بعد الحمار دوماً.

> إبليس يدعى عند العرب: الحارث أو أبا الحارث، وهو ما يربطه بالفلاحة والزراعة مباشرة

إذن، فارتباط الحمار- أو فصيلة الخيليات- بالحية مغرق في القدم. وصعود الشيطان، الذي هو حية، بذيل الحمار إلى سفينة نوح طالع من هذا التقليد القديم.

بناءً عليه، فجملة الجاحظ: «ومن لا علم عنده يروي أيضاً أنّ إبليس قد دخل جوف الحمار مرّة» لا معنى لها. فمن روى هذه الرواية شخص يعرف الأسطورة ويؤمن بها. أما الجاحظ فيعرفها ولا يؤمن بها. إنها بالنسبة إليه خرافة باطلة. أما بالنسبة إلى المتدينين فهي علم. وفي ما يخصنا نحن فإننا لا ننكر الأسطورة مثل الجاحظ، بل نحاول فهمها. وليس هناك أسطورة إلا ويمكن فهمها في نهاية الأمر. فللأساطير منطق واضح. وهي تتبع هذا المنطق. وكل ما هو منطقي يمكن فهمه وتفسيره.

* شاعر فلسطيني

Samedi 3 Septembre 2022 n°32
السبت 3 أيلول 2022 العدد الثاني والثلاثون

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

جمهوريات الأحوال الشخصية

5-2

(أرشيف - الأخبار)

كيف حالنا في أحوالنا... الشخصية؟

3

كل طائفة تغنّي لأحوالها

4

قراءة دستورية في نزاع الصلاحيات

5

نحو سنة سجنية بـ 6 أشهر

7-6

في الواجهة

بين الحرية والمساواة
أحوال ضائعة

■ نائلة نحلة

في كل دول العالم يكتسب المواطن هوية واحدة، اما في لبنان فله هويتان: هوية وطنية وأخرى طائفية
بعد انتهاء الحرب الاهلية، كان الهدف المعلن لاتفاق الطائف خروج لبنان من الحرب الطائفية نحو دولة علمانية، الا ان السلطات السياسية تعمّدت وضع حجر عثرة في وجه هذه الخطوة متذرعة بالتنوع الديني ووجوب حماية الحريات الدينية المنصوص عنها في المادة التاسعة من الدستور «حرية العقيدة مطلقة وعلى الدولة وجوب احترام جميع الأديان والطوائف، وضمان ممارسة الشعائر الدينية بحرّية، واحترام المصالح الدينية وقوانين الأحوال الشخصية»
في لبنان اكثر من 15 قانوناً للأحوال الشخصية، تتعلق بشكل رئيسي بالديانات المسيحية والاسلامية واليهودية. ومن شأن ذلك ان يخلق تفاوتاً ضمن المجتمع الواحد في الحقوق التي يتمتّع بها الأشخاص من خلفيّات دينية مختلفة، وهي ظاهرة تُناقض روح المادة 7 من الدستور اللبناني: «كل اللبنانيين سواء لدى القانون، وهم يتمتّعون بالسواء بالحقوق المدنية والسياسية ويتحمّلون الفرائض والواجبات العامة دونما فرق بينهم» فالمواطنون اللبنانيون ليسوا سواء أمام القانون عندما يتعلق الأمر بأحوالهم الشخصية والقوانين التي يخضعون لها. اذ تختلف هذه القوانين باختلاف طوائفهم وتكوينهم، في ما يتعلق بالسن القانوني للزواج، الطلاق، حضانة الأطفال وغيرها
كما يمنع على الأقليات الدينية وأتباع الطوائف غير المعترف بها (البهائيون، العلويون، الهندوس، البوذيون، شهود يهوه، ومختلف الجماعات الإنجيلية البروتستانتية) الزواج أو الطلاق أو الميراث وفقاً لمعتقداتهم الخاصة، ويحتاجون إلى التسجيل تحت أحد المذاهب الثمانية عشر المعترف بها رسمياً.
الإبقاء على 15 نظاماً للاحوال الشخصية يكرّس مبدأ تدخّل السلطات الدينية في التشريع في كل ما يتعلق بالأحوال الشخصية للمواطنين، ويساهم بارتباطهم مباشرة بالمذاهب التي ينتمون إليها بدل انتمائهم إلى الدولة
ونظراً إلى أهمية قوانين الاحوال الشخصية باعتبارها اساساً لارساء المساواة بين افراد المجتمع، لا سيما بين الرجل و المرأة، وتأثيرها المباشر على القوانين الجنائية والدستورية، إذ من شأنها تشييد الأسس القانونية التي تهدف إلى الحماية من العنف، كتزويج الأطفال والتحرّش الجنسي والعنف الاسري، ودورها المهم في تحديد العلاقات الاجتماعية ؛ فهي التي تنظم شؤون الأسرة والعلاقة بين أطرافها، وتحدد حقوق وواجبات كل من أفرادها وعلاقاتهم،
لا بد من البدء في تنظيم الأسرة باعتبارها الركيزة الاساسية للمجتمع من خلال قانون موحّد للأحوال الشخصية يضمن المساواة بين جميع اللبنانيين، مع التأكيد على احترام المعتقدات والشرائع الدينية، قانون يحاكي مجتمعنا وعاداته وتقاليده ولا يخاصمه، يحمل المجتمع بكل أطيافه الى الوعي المدني من خلال مفهوم الشراكة الكاملة في بناء الاسرة من دون تغليب طرف على آخر.

الأحوال الشخصية في القانون اللبناني
لكل طائفة قوانينها

■ صادق علوية

في لبنان تستقل كل طائفة، لا بل كل مذهب، بالأحوال الشخصية للمنتمين الى تلك الطائفة أو المذهب، وذلك من حيث التقاضي والحقوق والواجبات. هذا الاستقلال ليس استقلالا عن كيان الدولة فحسب بل عن باقي المواطنين. فلكل مذهب محاكمه وقضاته الذي يحكمون، حصرا دون سواهم، في مسائل الأحوال الشخصية التي تعني المؤمنين الذين يدينون بديانتهم، ولا تتدخّل الدولة «المدنية» إلا في عملية قيد وثائق الأحوال الشخصية، وهي التي نظمتها بموجب قانون قيد وثائق الاحوال الشخصية والجنسية اللبنانية بموجب قانون الجنسية. وفي ما يتعلق بالزواج على سبيل المثال، فإن صلاحية دوائر الأحوال الشخصية ليست سوى صلاحية إدارية تقتصر على تسجيل وثائق الزواج الذي تثبته وتجريه الجهات الدينية.

حرص النظام اللبناني منذ نشأة الدولة اللبنانية على احترام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية للطوائف والمذاهب، وكان يقوم على الدوام بإضافة « طائفة» أو «مذهب» الى الطوائف المشمولة بهذا الاحترام.

بدأت حكاية الأحوال الشخصية مع متصرفية جبل لبنان التي كانت تحترم خصوصية الطوائف لا سيما المسيحية، بحماية من الدول الأوروبية الست آنذاك، وانتقلت الحماية لتكون مادة في نص صك الانتداب لسوريا ولبنان، حيث نصت المادة السادسة منه على أن النظام القضائي الذي تنشئه الدولة المنتدبة «يضمن للاهلين، على اختلاف مللهم، احترام نظام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية». هذه العبارة بحرفيتها انتقلت الى الدستور اللبناني حيث نصت المادة التاسعة منه على أن «الدولة تضمن للأهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية».

المادة 6 من نص صك الانتداب لسوريا ولبنان

تنشىء الدولة المنتدبة في سوريا ولبنان نظاماً قضائياً يصون حقوق الاجانب والوطنيين صيانة تامة ويضمن ايضا للاهلين، على اختلاف مللهم، احترام نظام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية. وتقوم الدولة المنتدبة، على وجه خاص، بمراقبة ادارة الاوقاف طبقا لما تقضي به الشرائع الدينية وارادة الواقفين.

المادة 9 من الدستور اللبناني:

حرية الاعتقاد مطلقة والدولة بتاديتها فروض الاجلال لله تعالى تحترم جميع الأديان والمذاهب وتكفل حرية اقامة الشعائر الدينية تحت حمايتها على أن لا يكون في ذلك اخلال في النظام العام، وهي تضمن أيضاً للاهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية.

وحين أصدر المفوض السامي الفرنسي سنة 1923 قرار تاليف واختصاص بعض المحاكم في لبنان، نص في المادة 15 منه على أنه لا تطبق احكامه على قضايا الاحوال الشخصية في ما بين المسلمين،

سنة 1926 كان المفوض الفرنسي واضحاً في قرار له لطمانة الطوائف، فاورد بشكل واضح أنه في دعوى الاحوال الزواجية يكون قاضي الاحوال الشخصية ذو الصلاحية هو قاضي السلطة الدينية التي عقد الزواج امامها، وأن من يحكم في مسائل الاحوال الشخصية في ما يختص بالطوائف الاسلامية وغيرها المعترف بها محاكم الاحوال الشخصية العائدة لكل منها.

إلى أن وضع المفوض الفرنسي دي مارتيل نظام الطوائف الدينية في العام 1936 بموجب القرار 60 ل.ر. تاريخ 1936/3/13 زالذي ما يزال ساريا لغاية اليوم، وينص على أن «الاعتراف الشرعي بطائفة ذات نظام شخصي يكون مفعوله اعطاء النص المحدد به نظامها قوة القانون ووضع هذا النظام وتطبيقه تحت حماية القانون ومراقبة السلطة العمومية».
ونص بشكل واضح على أن اللبنانيين المنتمين الى الطوائف المعترف يخضعون لنظام طوائفهم الشرعي في الامور المتعلقة بالاحوال الشخصية ولأحكام القانون المدني في الامور غير الخاضعة لهذا النظام. فالمبدأ أن كل موضوع يعتبره قانون الاحوال الشخصية لطائفة معينة من ضمن شؤون الاحوال الشخصية يصبح من صلاحية هذه المحاكم، وكل ما عدا ذلك يصبح من اختصاص القضاء العادي.

> بدأت حكاية الأحوال الشخصية مع متصرفية جبل لبنان التي كانت تحترم خصوصية الطوائف

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن قضاء الطوائف المسيحية مستقل عن تنظيمات الدولة القضائية على خلاف القضاء الشرعي السني والجعفري والعلوي والدرزي الذي يعد جزءا من التنظيم القضائي اللبناني. وسبق أن تم تقديم اقتراح قانون يرمي الى ربط القضاء المذهبي للطوائف المسيحية الكاثوليكية الست (المارونية، الروم الكاثوليكية الملكية، الارمنية الكاثوليكية، السريانية الكاثوليكية، اللاتينية والكلدانية) ولطائفتين اثنتين من الطوائف المسيحية الارثوذكسية (السريانية الارثوذكسية والشرقية الاشورية الارثوذكسية في لبنان) بتنظيمات الدولة القضائية، بجعله جزءاً منها، على غرار القضاء الشرعي السني والجعفري (قانون 1962/7/16) والعلوي (القانون رقم 449 تاريخ 95/8/17 المتعلق بتنظيم شؤون الطائفة الاسلامية العلوية في لبنان، والقانون رقم 450 تاريخ 1995/8/17 المتعلق بانشاء وتنظيم المحاكم العلوية الجعفرية) والقضاء المذهبي الدرزي (قانون 1960/3/5). وكانت لهيئة التشريع والاستشارات في وزارة العدل تحفظات عدة لجهة ان اقتراح القانون، في حال السير به، من شانه ان يخلق تفاوتاً كبيراً غير مبرّر في صلاحيات كل من مجلس القضاء الاعلى (العدلي) وكل من مجلسي القضاء الاعلى (المذهبيين)، وان يرتب اعباء مالية ضخمة على خزينة الدولة وعلى صندوق تعاضد القضاة وتحفظات أخرى أوردتها في الاستشارة رقم 1999/415.

اختصاص حصري

إن سلطان الطائفة بقوانينها ومحاكمها لا يطال سوى الاشخاص المنتمين الى تلك الطائفة.فاختصاص المحاكم المذهبية،الشرعية أو الروحية في مسائل الأحوال الشخصية هو اختصاص وظيفي، والاختصاص الوظيفي هنا يعني أنه يحق للخصوم الإدلاء به في جميع مراحل المحاكمة، لا بل حتى على المحكمة أن تثيره من تلقاء نفسها وتعلن عدم اختصاصها في موضوع النزاع.
ومن الطبيعي أن قانون الأحوال الشخصية لكل طائفة لا يتضمن قواعد لحل الخلافات بين ابناء الطوائف المختلفة، ما قد يوجد خلافا بين المحاكم المذهبية المختلفة بحيث تدفع كل منها باختصاصها. وهو الأمر الذي يصبح من صلاحية محكمة حل الخلافات لتقرر أياً من المحاكم الدينية تختص بالنظر في هذا النزاع، ومحكمة حل الخلافات هي الهيئة العامة لمحكمة التمييز.
كما يمتنع على اي محكمة دينية لطائفة معينة أن تتجاوز اختصاصها الوظيفي بالنظر في دعوى تختص بالنظر فيها محكمة دينية تابعة لطائفة أخرى.
وتتولى الهيئة العامة لمحكمة التمييز البت في طلبات تعيين المرجع عند حدوث اختلاف إيجابي أو سلبي على الاختصاص: بين محكمة عدلية ومحكمة شرعية أو مذهبية أو بين محكمة شرعية وأخرى مذهبية أو بين محكمتين مذهبيتين أو شرعيتين مختلفتين.
كما تنظر في الاعتراض على قرار مبرم صادر عن محكمة مذهبية أو شرعية لعدم اختصاص هذه المحكمة أو لمخالفته صيغا جوهرية تتعلق بالنظام العام.
وتختص المحاكم اللبنانية بالنظر في مسائل الأحوال الشخصية التي تعنيهم، والمقصود بالمحاكم المشار اليها بهذا النص الوارد في قانون اصول المحاكمات المدنية، المحاكم الدينية.
فالزواج يخضع للأحكام الخاصة المذكورة في قانون الأحوال الشخصية لكل طائفة وانحصار إرث المحمديين يخضع لقانون كل طائفة مسلمة، أما غير المحمديين فيخضعون لقانون الارث لغير المحمديين،
فتختص المحاكم الشرعية (السنية والجعفرية) بالدعاوى والمعاملات المتعلقة باثبات الوفاة وانحصار الارث وتعيين الحصص الارثية وفقا لنظام القضاء الشرعي السني والجعفري المصدق بقانون 16 تموز 1962 2
وتختص المحاكم المذهبية الدرزية بالنظر في القضايا والمعاملات المتعلقة بتطبيق احكام الشرع والتقاليد الدرزية وقانون الاحوال الشخصية للطائفة الدرزية (قانون منفذ بالمرسوم رقم 3473 تاريخ 5 آذار 1960)
قانون الارث لغير المحمديين الصادر بتاريخ 23 حزيران 1959 يطبق على غير المحمديين وأحكامه لا تطبق على تركات ابناء الطوائف المحمدية
وكذلك المفاعيل الناتجة عن عقد الزواج، كالنفقة والبنوة الشرعية، التبني، الحضانة، والطلاق وانحلال الرابطة الزوجية والافتراق وكذلك الوصاية على القاصر أو الحجر وغيرها من الأحكام المتصلة بالأحوال الشخصية تختص بها المحاكم الطائفية والمذهبية والروحية.

(هيثم الموسوي)

الطوائف اللبنانية

الطوائف اللبنانية بناء على القرار 60 تاريخ 13 اذار 1936 المعدل بموجب القرار رقم 146 تاريخ 1938/11/18
والقانون تاريخ 1962/12/21 والقانون رقم 341 تاريخ 1994/6/16 والقانون رقم 553 تاريخ 1996/7/24 :

الطوائف المسيحية :
1. البطريركية المارونية
2. البطريركية الروم الارثوذكس
3. البطريركية الكاثوليكية الملكية
4. البطريركية الارمنية الغريغورية (الارثوذكسية)
5. البطريركية الارمنية الكاثوليكية
6. البطريركية السريانية الكاثوليكية
7. البطريركية السريانية او السريانية الكاثوليكية
8. الطائفة الشرقية الاشورية الارثوذكسية
9. البطريركية الكلدانية
10. الكنيسة اللاتينية
11. الكنيسة القبطية الارثوذكسية

الطوائف الاسلامية:
12. الطائفة السنية
13. الطائفة الشيعية (الجعفرية)
14. الطائفة العلوية
15. الطائفة الاسماعيلية
16. الطائفة الدرزية

الطوائف الاسرائيلية:
17. كنيس حلب
18. كنيس دمشق
19. كنيس بيروت

قرار باقرار نظام الطوائف الدينية - قرار المفوض السامي رقم 60 تاريخ 1936/03/13

قانون قيد وثائق الاحوال الشخصية، نوع النص: قانون | رقم 0 تاريخ: 1951/12/07

تحت القوس

كيف حالنا في أحوالنا... الشخصية؟

■ زياد بارود

سؤالٌ دونه الجواب غير المنفصم. نعم، في انفصام شخصيتنا القانونية، لا يسع المرء إلا أن يلاحظ تلك الهوّة السحيقة بين دستور أعطى حرية المعتقد صفة الإطلاق (في المادة 9 منه)، إضافةً إلى قانونٍ اعترف، ليس فقط بالطوائف «التاريخية»، وإنما أيضا بطائفة القانون العادي (القرار 60/ل.ر.)، من جهة، وبين ممارسةٍ تدّعي المدنية على حين استعراض، وتحاربُ تلك المدنية على حين استحقاق، من جهةٍ أخرى. هكذا نحن في آنٍ واحد: نسبحُ في فضاء الحرية دستوراً ونغرقُ في مستنقعِ الممانعة سجناً. والأسوأ من هذا الانفصام المَرَضيّ أن مجرّد الاختيار ليس خياراً: حتى أن تواضع المطالبة إلى حدّ قانونٍ إختياريّ للأحوال الشخصية (لا إلزامي، كما في تونس، مثلا) جوبهت ولا تزال بتعنّتٍ وتمسّكٍ بخيارٍ أوحد: إلزامية الانتماء، وكأنّ الاختيار يمنع الانتماء، أو لكأن منعَ أبناء لبنان وبناته حقهم وحقّهنّ المكرّس دستوراً ينتقص من أية حقوق مكرّسة أيضاً لأبناء الممانعة.

منذ بضعة أسابيع، عقد لبنانيان (عمر عبد الباقي ونجوى سبيتي) زواجهما المدني «أونلاين»، وهما في لبنان، وفقاً لقوانين إحدى الولايات الأميركية. وقبلهما، وعلى الرغم من رفض الدوائر الرسمية تسجيل الزيجات المدنية المعقودة في لبنان، أصرّ عبدالله سلام وماري - جو ناصيف أن يمارسا حقهما تماماً كما فعل، بدايةً، نضال درويش وخلود سكرية وعددٌ من المؤمنين بالحق المدني الذي رأت الهيئة الاستشارية العليا في وزارة العدل صوابية تكريسه وممارسته. كل هؤلاء مواطنون ومواطنات يتمسكون بالحق ضامناً وخياراً، وهم في ما هم عليه ليسوا إلغائيين، فلماذا يُجابهون بغير حق وبغير هذا الحق؟ إذا كانت أحوالنا الشخصية تشبه تنوّعنا، فالأجدى ترجمة هذا الشبه في كل ما هو عليه، فتنتصر «الطائفة 19» لوجودها، لا ضدّ زميلاتها الـ18. لكل طائفةٍ قوانينها؟ لكلّها إذن، من دون تمييزٍ! في زمن عولمةِ الحقوق التي تعبُرُ الحدود حرّةً، فكرةً ومبادئ وتكريساً، يأتيك «القوس» مذكراً بهذه الحقوق في عددٍ خاص يعود إلى الأساسيات ويلقي الضوء على مسألةٍ لا يجوز أن تقعَ في الغياهب. مسألةٌ في صلب الحق الإنساني وفي صلب الحالة المطلبية الحقوقية. مسألةٌ لا شكّ عندي بأن خواتيمها ستكون سعيدة مهما طال زمن الامتناع عن الحق. وفي هذه الأثناء، نستمر نقرأ في «القوس»، ومعه ومع مجموعةٍ من المبادرين والمناضلين أمثال لور مغيزل وطلال الحسيني ورفاق لهم كُثُر، نستمر نقرأ قصّة الانتقال إلى حالةٍ مدنية غير إلغائية، وإنما ترفض إلغاءها، حالةٌ ترغب بقوة أن تكون أحوالنا الشخصية بمنأى عن الانفصام وبمنأى عن الاستنسابية وبمنأى عن كل ما يعكّر صفوَ الاجتماع اللبناني الغني بتنوّعه. ولأن القانون ينبغي أن يتماهى مع الحق، فإن الأخير يبقى عالياً ولا يعلوه قانونٌ مهما جار ومهما طال جَبرُه...

كيف حال أحوالنا الشخصية؟ ليست بخير، تماماً كما أحوالنا الوطنية. وبين هذه وتلك، ينتصبُ شعبٌ على يمين القوس، يدافعُ عن مجتمع أنهكته الأزمات، لأنّ الانكفاءَ ليس بقَدَر ولأن «الانتصار يعطى لمن حلم به يوماً»...

(هيثم الموسوي)

في العمق

كل طائفة تغنّي لأحوالها

■ نائلة نحلة، فداء عبد الفتاح

دخل لبنان في السنوات الأخيرة نفقاً من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والصحية ضربت أركانه، رغم أن اللبناني «الحربوق» يحاول دائماً التعايش مع الأزمات، لعله يجتاز المرحلة ويصل الى بر الأمان. الا أن هذه المرحلة مختلفة عن سابقاتها. ففترة الحجر الطويلة التي فرضتها كورونا تلتها الأزمة الاقتصادية بعد تشرين 2019 التي أرخت بثقلها على العائلات اللبنانية وأدت الى تفكك أسري نتيجة عدم القدرة على تحمل المسؤولية، ما زاد من نسب الطلاق وما ينتج عنه من أزمات مجتمعية كالعنف والتسرب المدرسي وازدياد نسب المعطلين عن العمل والعديد من الآفات الاجتماعية كالتحرش وتعاطي المخدرات وغيرهما.

ريما متزوجة منذ تسع سنوات و لها طفل عمره سبع سنوات. كان زوجها يعمل في احدى الشركات الكبرى، ويعتبر من الميسورين، فلم تضطر للعمل وعاشت حياة مرفهة وتابعت تعليمها العالي، الى أن حلّت الأزمة المالية وجائحة كورونا، ما اضطر الزوج للعمل من المنزل وأدى إلى تراجع مداخيله المالية وتغير حياة الأسرة بشكل كامل.

لم تتقبل ريما حياتها الجديدة، ورفضت التنازل عن اي من مكتسباتها خلال حياتها الزوجية، كالعاملة المنزلية، وعدم اضطرارها للعمل ومستوى مدرسة ابنها ... الامر الذي وتر العلاقة بين الزوجين، وأفقدهما القدرة على التواصل الايجابي،

> التفكك الاسري هو نتيجة عدم القدرة على تحمل المسؤولية، ما زاد من نسب الطلاق وما ينتج عنه من أزمات مجتمعية كالعنف والتسرب المدرسي

ما زاد من عصبية الزوج في مقابل عدم تفهم الزوجة. دفع ذلك ريما الى اتخاذ قرار الانفصال عن زوجها باللجوء الى المحكمة الشرعية لطلب التفريق ظناً منها بأنها ستستعيد من خلال المحكمة ما خسرته من «حقوق» مالية تعتبرها واجباً على زوجها.

وهي لا تزال تنتظر حكم المحكمة منذ سنتين، خسرت خلالهما جزءاً كبيراً من مدخراتها التي أنفقتها على التقاضي وخسرت وجود ابنها معها بشكل دائم لتحضنه يومين في الاسبوع.

هل تنصفها المحكمة؟

يختلف الأمر بالنسبة لمريم التي تعمل وزوجها في القطاع العام. لم تكن الحياة من البداية سهلة لكنها لم تكن قاسية. رزقت مريم بولدين وتمكنت مع زوجها من تأمين حياة كريمة من دون اي مساندة من أحد، الى ان أرخت الأزمة المالية بثقلها على كل موظفي القطاع العام فلم يعد راتب الزوجين يكفي لدفع فاتورة الكهرباء. عملت في وظيفة اضافية لسد احتياجات منزلها الأساسية، وتمكنت نتيجة حسن تدبيرها من ابعاد اثر الازمة عن أولادها. في المقابل، لم يكتف زوجها برفض البحث عن عمل اضافي لمساعدتها، بل مارس عليها ضغوطات كثيرة بسبب «تقصيرها» في الأعمال المنزلية، ما دفعها الى التفكير جدياً في طلب الطلاق. إذ باتت تتحمل الجزء الأكبر من الأعباء المالية وبإمكانها اعالة الاسرة وحدها. لكن خوفها من خسارة حضانة ولديها وتأثير الطلاق على وضعهما النفسي وهما في سن يحتاجان فيه لرعاية الام مباشرة، اضافة الى الأزمات العامة التي يعاني منها البلد والتي تزيد من الاعباء التي تعاني منها المرأة المطلقة، جعلها تتحمل العنف الاقتصادي والمعنوي واللفظي الممارس عليها ولعدم ثقتها بالقوانين الشرعية المعمول بها، وخوفها من نظرة المجتمع للمرأة المطلقة.

في مسائل الأحوال الشخصية، من الصعب جداً حسم الجدل بين طرفي النزاع لجهة المسؤولية كونها موزعة بنسب متفاوتة.

ما يجب التركيز عليه عندما يقرر أحد الطرفين أو كلاهما اللجوء للقضاء هو: كيف نحمي مؤسسة العائلة من التفكك الاسري، وكيف نحمي الأولاد من تأثيرات المشاكل بين الزوجين، ومدى أخذ المحاكم الشرعية في الاعتبار لهذه القواعد خلال نظرها في الدعاوى المرفوعة امامها، خصوصاً في قضايا الحضانة وضرورة حماية الطفل المحضون ومصلحته الفضلى بغض النظر ان كان حق الحضانة للام او للاب.

فالمحاكم الشرعية يفترض انها مسؤولة عن تحصين العائلة في ظل عدم وجود قانون موحد للأحوال الشخصية وإعلاء مصلحة العائلة فوق كل اعتبار.

ترفع امام المحاكم الشرعية والروحية عدد من الدعاوى المتعلقة بالاحوال الشخصية للمتقاضين، ويلجأ كل طرف لتقديم الدعوى التي تعطيه مكتسبات شخصية في وجه الطرف الآخر متجاهلا في معظم الاحيان مصلحة العائلة وخصوصاً الاولاد.

الاسرة ركيزة المجتمع

يغيب عن بال كثيرين من المقدمين على الزواج ان الهدف منه يتعدى فكرة التزاوج والانجاب الى بناء أسرة مستقرة، متوازنة عمادها الاتفاق النسبي بين الزوجين على الموضوعات المتعلقة بحياتهما المشتركة، والقدرة على الصمود أمام المشكلات والمعوقات التي تواجههما، وقدرة الأسرة على التكيف والاستجابة للعوامل الخارجية المختلفة، وبذل الجهد وقت الشدة وعند الصعاب. ومن المؤكد أن الزواج يكون أكثر استقراراً إذا بذل كل من الزوجين جهدا لتحمل الطرف الآخر، وتحمل المشكلات التي تعترض حياتهما. فأي محاولة من طرف لالغاء شخصية الطرف الآخر، وإهمال مبدأ التكامل والتكافل والمشاركة، واستبعاد مبدأ التنازل والاحتواء، والتباعد الفكري والثقافي والاجتماعي، وتصادم المواقف وتعارضها بين أفراد الأسرة الواحدة، يؤدي حتماً الى انعدام التوازن والتفكك الأسري.

لا شك في ان الاسرة كجزء من المجتمع لا يمكنها أن تعيش في معزل عن التأثيرات الخارجية، لذلك فإن الدعم والمساندة المقدمين من المجتمع المحيط، يساعدان بشكل كبير في استقرارها وتماسكها من جهة، ومن جهة أخرى قد يؤدي هذا المجتمع الى تدميرها في حال تخطي الحدود المسموح بها. لذلك فان الأسرة المستقرة اجتماعياً هي تلك القادرة على مواجهة التأثيرات الداخلية والخارجية المتعددة، والتي يشعر جميع أفرادها بالمسؤولية والتعاون.

من هنا من واجب كل فرد في المجتمع القيام بدوره التوعوي لا سيما تجاه الأجيال المقبلة على الزواج. من واجب التربويين والاخصائيين ورجال الدين التركيز على مقومات الأسرة المستقرة من خلال التوعية على حقوق وواجبات كل فرد من افرادها واهمية اختيار الشريك المناسب القادر على تحمل المسؤوليات وتخطي العقبات، والتشجيع على تنظيم اتفاقيات الزواج مع التأكيد على دورها في حماية حقوق الطرفين وعدم انتقاصها من قيمة وكرامة اي منهما.

دور القوانين في حماية الاسرة

في ظل الازمات التي تواجه الأسرة اللبنانية خاصة بعد فترة الحجر الصحي والازمة الاقتصادية، لا بد من التعاون بين الجهات التشريعية والقضائية مع المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني لوضع تشريعات تنسجم مع النسيج الاجتماعي والتحديات المستجدة. عندما نتحدث عن دور القوانين في بناء وحماية الأسرة، لا نتحدث بالضرورة عن تلك المتعلقة بشكل مباشر بها كقانون حماية النساء والاطفال من العنف الاسري على الرغم من أهميته، وان كانت لدينا بعض المآخذ حول مدى تطبيقه، انما نتحدث عن تشريع قوانين تلعب دوراً غير مباشر في استقرار الأسرة ودعمها وتؤمن لأفرادها الأمان الصحي والنفسي والاقتصادي.

لقد بيّنا في ما سبق ان ما يزعزع كيان الأسرة لا ينحصر باختلاف الثقافات والافكار وأساليب الحياة، فالعوامل الخارجية المتمثلة بالضغوطات الاقتصادية وعدم الشعور بالامان الصحي والاقتصادي المترافق مع عدم القدرة على التحمل، كفيلة بهدم أكثر الاسر صلابة.

فمن حق اي فرد العيش في استقرار نفسي دون خوف من الجوع او العوز. ومن واجب الدولة تشريع قوانين اجتماعية تضمن للافراد غير العاملين مدخولاً يؤمن الحاجات الاساسية للانسان كالاكل والطبابة.

ومن حق كل فرد الا يهدر ايامه بالبحث عن ضمانة للحفاظ على كرامته عند بلوغ سن الشيخوخة، ومن حق كل طفل التعلم في مدارس لائقة، وضمان عدم التسرب المدرسي بسبب انتفاء الامكانيات المادية.

ومن حق كل أسرة دولة تحترمها وترعاها وتؤمن لها مظلة قوانين تحفظ استقرارها الأمني والاجتماعي والاقتصادي.

ارتفاع نسب الطلاق

تشير الأرقام الصادرة عن دائرة الاحصاءات في المديرية العامة للأحوال الشخصية الى انخفاض نسبة الزواج بين العامين 2018 و2021 مقابل ارتفاع معدل الطلاق وانخفاض ملحوظ في معدل الولادات. فبعد ان كان معدل الزواج 36287 عام 2018، انخفض الى 33661 في 2021، بينما ارتفعت نسبة الطلاق من 7646 الى 7751 وانخفضت الولادات من 47984 الى 34666 غراف الاحصاءات من دائرة الاحصاء).

هذه الأرقام لا تشمل دعاوى الطلاق التي ما زالت عالقة أمام المحاكم هذه الأرقام هي انعكاس لارتدادات الأزمة المالية على مؤسسة العائلة، حيث لم يعد طرفاها قادرين على تحمل كافة أعبائها، وتتضاعف الأعباء بوجود معيل واحد للأسرة.

متابعة

قراءة دستورية في نزاع الصلاحيات: بين الرئاسة الشاغرة وحكومة تصريف الأعمال

■ د. مصطفى محمد زعبي *

يتصاعد الجدل الدستوري مع اقتراب نهاية ولاية الرئيس ميشال عون والحذر من الفراغ في سدة الرئاسة لأسباب شتى، لسنا في معرض الحديث عنها، حول دستورية انتقال صلاحيات رئيس الجمهورية المنتهية ولايته الى حكومة تصريف أعمال في حال لم تُشكّل حكومة جديدة، خصوصاً أن كيان الدولة على شفير الإنهيار في ظل شلل شبه تام للمرافق العامة والوضع الإقتصادي المنهار، وتعطّل عمل بعض المؤسسات الدستورية نتيجة الاوضاع الإقتصادية. علماً ان هذا الجدل ليس جديداً. إذ سبق أن أثير مع انتهاء ولاية الرئيس ميشال سليمان، لكنه انتهى مع تشكيل حكومة الرئيس تمام سلام التي تولت صلاحيات رئيس الجمهورية باعتبارها حكومة كاملة الصلاحيات بعد نيلها ثقة مجلس النواب.

مع انتخاب مجلس نيابي جديد وبدء ولايته، أصبحت حكومة الرئيس نجيب ميقاتي، عملاً بأحكام البند «د» من الفقرة الأولى من المادة 69 من الدستور، بحكم المستقيلة. وباتت صفة تصريف الأعمال تنطبق عليها من الناحية القانونيّة، وفقاً للفقرة الثانية من المادة 64 من الدستور التي تنص صراحة على التالي: «لا تمارس الحكومة صلاحياتها قبل نيلها الثقة ولا بعد استقالتها أو اعتبارها مستقيلة إلا بالمعنى الضيّق لتصريف الأعمال». و بما ان مجلس الوزراء لا يجتمع في ظل فترة تصريف الأعمال، ويفقد الوزراء العديد من الصلاحيات التي تنيطها بهم القوانين، فما هو مفهوم تصريف الأعمال من الناحية الدستورية؟ وهل يحق لحكومة تصريف الاعمال تولي صلاحيات رئيس الجمهورية المنتهية ولايته؟

سنحاول الاجابة على هذه التساؤلات على ضوء النص الدستوري وقرارات مجلس الشورى والمجلس الدستوري، من دون الوقوف على رأي الفقه الدستوري الذي نحترم بعدما ناقض البعض نفسه مؤخراً.

اولاً: المسوغ الدستوري لتصريف الاعمال

حدّد مجلس شورى الدولة في قراراته نطاق تصريف الأعمال فقد جاء في متن قراره رقم 293/2015:

وبما أن المادة 64 من الدستور المعدلة بموجب القانون الدستوري رقم 90/18 تاريخ 1990/9/21 تنص في نهاية البند الثاني منها على أن «لا تمارس الحكومة صلاحياتها قبل نيلها الثقة، ولا بعد استقالتها أو اعتبارها مستقيلة إلا بالمعنى الضيق لتصريف الأعمال»، فيكون بالتالي المشرّع التأسيسي قد حدد الأساس الدستوري لمفهوم تصريف الأعمال وهو زوال المسؤولية السياسية عن الحكومة المستقيلة بسبب فقدان الرقابة البرلمانية على أعمالها، بحيث تخضع بالتالي تدابير الحكومة المستقيلة وتقدير ظروف اتخاذها، لرقابة القضاء الإداري لانتفاء المسؤولية الوزارية أمام البرلمان. وبما أن العلم والاجتهاد مستقران على اعتبار أن الأعمال الجارية أو العادية التي يعود للحكومة المستقيلة أمر تصريفها (Expédition des affaires courantes) وجدت جذورها الدستورية في الفقرة الأولى من المادة 52 من دستور الجمهورية الرابعة سنة 1946 في فرنسا، وقد رفعها مجلس شورى الدولة الفرنسي إلى مصاف المبادئ القانونية العامة وحدّد مفهومها بدقة، حيث فرّق بين:

- الأعمال الجارية بطبيعتها أي كتلة القرارات اليومية التي تحضرها الدوائر الإدارية والتي يكتفي الوزير بتوقيعها بعد تدقيق موجز.
- الأعمال المهمة التي لا يعود إلى حكومة مستقيلة القيام بها إلا في الحالات الطارئة، على أن يبقى موضوع تحقق الحالة الطارئة وتوافر شروطها خاضعاً لرقابة القضاء الإداري.
- القرارات التنظيمية الأساسية (Grands reglements statutaires) والأنظمة التي تعدل الأحكام التنظيمية السابقة والحقوق المعترف بها بموجب القوانين، والتي لا تدخل أبداً ضمن صلاحيات الحكومة المستقيلة.

Observations sous C.E. Assemblée 4 Avril - 1952, Syndicat régional des quotidiens d'Algérie; G.A.J.A, 13ème édition, n ° 73, p.464. 12:17

وبما أنه ينبني على ما تقدم أن تحديد نطاق «الأعمال العادية» يستوجب التفريق بين الأعمال الإدارية والأعمال التصرفية، وبما أن مجلس شورى الدولة اللبناني اعتبر أن الأعمال التصرفية التي يمتنع على حكومة تصريف الأعمال اتخاذها، هي تلك التي ترمي إلى إحداث أعباء جديدة والتصرف باعتمادات مالية هامة، أو إدخال تعديل جوهري على سير المرافق العامة وعلى أوضاع البلاد السياسية أو الإقتصادية أو الإجتماعية، أي التدابير التي تثير البحث في المسؤولية الوزارية. - القرار رقم 614 تاريخ 12/17/1969 وبما أنه في مقابل ذلك، اعتبر مجلس شورى الدولة أن من بين الأعمال العادية التي يعود للحكومة المستقيلة اتخاذها، الأعمال الإدارية اليومية التي يعود للهيئات الإدارية إتمامها ولا يمارس الوزراء عليها سوى إشراف محدود، وهي تشمل الأعمال الجارية بطبيعتها (Affaires courantes par nature)، أي كتلة القرارات اليومية التي تحضرها الدوائر الإدارية والتي يكتفي الوزير بتوقيعها بعد تدقيق موجز من دون أن تطرح صعوبة خاصة أو خياراً سياسياً أو قانونياً دقيقاً، كما هي الحال عليه بالنسبة للقرارات الإعترافية (Décisions récognitives) التي يتخذها الوزير ولا يمارس حيالها أي سلطة إستنسابية في التقدير، كونها تدخل في إطار تنفيذه لمهامه اليومية.

> الاساس الدستوري لمفهوم تصريف الاعمال هو زوال المسؤولية السياسية عن الحكومة المستقيلة بسبب فقدان الرقابة البرلمانية على اعمالها

و بما أن حكومة تصريف أعمال لا تجتمع ولا يمكنها ان تتخذ قرارات اساسية، فهل يجوز إنتقال صلاحيات رئيس الجمهورية اليها؟

ثانياً: مشروعية تولي حكومة تصريف الاعمال مهام رئيس الجمهورية المنتهية ولايته.

نصت المادة 62 من الدستور على أنه: «في حال خلوّ سدة الرئاسة لأي علة كانت تناط صلاحيات رئيس الجمهورية وكالة بمجلس الوزراء».

و رغم أن النص لم يفرّق بين حكومة عادية او حكومة تصريف اعمال، فإن الجدل القائم يستند حول مشروعية انتقال صلاحيات رئيس الجمهورية إلى حكومة تصريف الأعمال مردّه أسباب عدة، منها:

- ان لا سلطة لمجلس النواب على الحكومة المستقيلة من ناحية أدوات الرقابة، علماً انه يبقى من حق المجلس النيابي توجيه الإستجواب للوزراء.
- ان الحكومة الحالية منبثقة من مجلس نيابي انتهت ولايته وهي امام مجلس جديد لم يمنحها الثقة قبل اعتبارها مستقيلة.

و عليه، هناك من يعتبر انه دستورياً لا يجوز انتقال صلاحيات رئيس الجمهورية المنتهية ولايته الى حكومة تصريف اعمال، لأن الثقة هي الشرط الاساسي لكي تكون الحكومة عاملة، وكذلك الامر بالنسبة للحكومة الحالية المستقيلة، لأن صلاحيات الرئيس بموجب المادة 64 تنتقل الى مجلس الوزراء مجتمعاً، وحكومة تصريف الاعمال لا يحق لها ان تجتمع.

غير أن المجلس الدستوري في قراره رقم 1/2005 تاريخ 6/8/2005، وإن لم يناقش مفهوم تصريف الاعمال على غرار مجلس شورى الدولة، بل اكتفى بالتأكيد على مبدأ إستمرارية السلطات الدستورية مانعاً لحدوث أيّ فراغ دستوري، واعتبر ان مفهوم تصريف الاعمال تعبير عن هذا المبدأ. ومما جاء في القرار:

ان المجلس يرى ان مبدأ استمرارية السلطات الدستورية منعاً لحدوث اي فراغ هو مبدأ ذو قيمة دستورية على ما اقر ذلك المجلس الدستوري الفرنسي مراراً، وعلى ما يستمد من أحكام الدستور اللبناني بالذات التي تحول دون إحداث أي فراغ دستوري في أي من السلطتين المشترعة والاجرائية بنصوص دستورية مفصلة وحاسمة، بحيث ينتفي التوازن بين السلطات الدستورية المستقلة اذا حيل دون الفراغ في بعضها بموجب نصوص دستورية حاسمة واتيح الفراغ في بعضها الآخر، وبما انه، تأكيداً لما سبق، نص الدستور اللبناني في مواد مختلفة منه على ملء الفراغ في السلطتين التشريعية والاجرائية، كفرض الشروع في انتخاب الخلف خلال شهرين اذا خلا مقعد واحد في مجلس النواب (م 41)، وكأن تستمر هيئة مكتب مجلس النواب في تصريف الاعمال حتى انتخاب مجلس جديد (م55)، أو كأن تناط صلاحيات رئيس الجمهورية وكالة بمجلس الوزراء في حال خلوّ سدة الرئاسة لأية علة كانت (م62)، أو كأن تمارس الحكومة صلاحياتها قبل نيلها الثقة او بعد استقالتها او اعتبارها مستقيلة تصريفاً للاعمال بالمعنى الضيق (م64)، او كفرض دورة انعقاد استثنائية حكماً على مجلس النواب عند استقالة الحكومة او اعتبارها مستقيلة لمواكبة تأليف الحكومة الجديدة ونيلها الثقة (م69)، او كاجتماع مجلس النواب حكماً في اليوم العاشر الذي يسبق أجل انتهاء ولاية رئيس الجمهورية (م73)، او اجتماع مجلس النواب فوراً بحكم القانون لانتخاب الخلف اذا خلت سدّة الرئاسة بسبب وفاة رئيس الجمهورية او استقالته او سبب آخر، حتى اذا اتفق أن خلت الرئاسة حال وجود مجلس النواب منحلاً تدعى الهيئات الانتخابية من دون ابطاء، ويجتمع المجلس بحكم القانون حال الفراغ من الأعمال الانتخابية (م74)، او اعتبار مجلس النواب الملتئم لانتخاب رئيس الجمهورية هيئة انتخابية لا هيئة اشتراعية بحيث يترتب عليه الشروع حالاً في انتخاب رئيس الدولة ذلك القيام بأي عمل آخر (م75)...

وبما ان المجلس يرى ان هذا الحرص الدستوري الشديد على عدم احداث اي فراغ في السلطتين الاشتراعية والاجرائية انما ينسحب حكماً على المجلس الدستوري الذي هو ايضا سلطة دستورية مستقلة انشأها الدستور ونص على اختصاصها، وذلك عملاً بقاعدة توازن السلطات، وبما ان المجلس لا يرى سبيلا الى احقاق قاعدة التوازن بين السلطات في حال قدر للسلطة ان تحصن نفسها ضد الفراغ وتركت اخرى دون اي تحصين لفراغ يصيبها ولو الى حين، وبما ان مبدأ استمرارية السلطات الدستورية منعاً لحدوث اي فراغ هو مبدأ ذو قيمة دستورية على ما اقرّ به المجلس الدستوري، وعلى ما يستمد من أحكام الدستور اللبناني التي تحول دون إحداث اي فراغ دستوري في اي من السلطتين الاشتراعية والاجرائية، فلا مانع دستورياً تطبيقا للمبدأ من انتقال صلاحيات رئيس الجمهورية المنتهية ولايته الى حكومة تصريف اعمال، على أن تمارس صلاحياتها بالمعنى الضيّق لتصريف الأعمال تفادياً لتعطيل المرفق العام في ظل الظروف الصعبة التي يمر فيها البلد على كافة الأصعدة.

ختاماً، تبقى هذه الدراسة الموجزة محاولة للاجابة عن التساؤلات المطروحة اعلاه على ضوء النص الدستوري والاجتهاد الاداري والدستوري، بعيداً عن التأويلات الفقهية. علماً أن الحل النهائي لهذه الاشكالية يتطلّب تعديلات دستورية لبعض النصوص، خصوصاً لناحية تحديد مهل تشكيل الحكومة، ترعى بشكل واضح عدم الوصول مستقبلاً الى حالة الفراغ الرئاسي والحكومي التي نعيشها.

* محامٍ وأستاذ جامعي

قاووش

تمرّد تلو مداهمة. في كل مرة يتمرّد السجناء تداهم القوى الأمنية ومعها فرقة مكافحة شغب تضم عسكريين لا تتعدى رواتبهم الشهرية 1,395,000 ليرة، لإنهاء الاحتجاجات بالقوة. المواجهة تؤدي غالباً إلى إصابات من الطرفين. يمكن ان «يهرب» العسكري من الخدمة، اما السجين فقد يعيد التمرّد أو يهرب من الواقع من خلال تعاطي المخدرات، أو يهرب من الحياة (الانتحار)، او يسعى الى الفرار من السجن. يزيد الاكتظاظ وتتفاقم الازمات في السجون يوماً بعد يوم، وتواجه الدولة صعوبات في إيجاد الحلول المناسبة وتامين الحاجات الاساسية للسجناء. وتتجه الامور الى الاعتماد على المساعدات في الخدمات الطبية والغذاء من السفارات والجمعيات الخيرية من جهة، والى إقرار قانون يخفّض السنة السجنية الى ستة أشهر لتخفيف الاكتظاظ من جهة أخرى

أزمة السجون تتفاقم
نحو خفض السنة السجنية إلى ستة أشهر

■ احمد مدلج

أشار وزير الداخلية بسام المولوي الأربعاء الفائت (31 آب) الى ثلاث مشكلات تعاني منها السجون حالياً: الاكتظاظ والطبابة والتغذية. وإذ أكّد أن العفو العام «ضروري لحل أزمة السجون»، ناشد القضاة المساهمة في حل مشكلة الاكتظاظ.

أحد التدابير التي اتخذت سابقاً لتخفيف الاكتظاظ كان خفض السنة السجنية الى تسعة أشهر، وها نحن اليوم امام مطالبة بخفضها إلى ستة اشهر... وقد أُرسل مشروع قانون بذلك إلى مجلس النواب لدرسه واقراره. وتؤكد أوساط وزارة الداخلية وأخرى نيابية أن المشروع «قد يحظى بتوافق مختلف الكتل النيابية كبديل من قانون العفو العام»، مشيرة إلى أن تطبيق القانون سيؤدي الى اخلاء سبيل أكثر من ألف سجين، وهو المخرج القانوني الأنسب لمشكلة الاكتظاظ في ظل الظروف الاستثنائية التي يمر فيها البلد.

لكن، هل يحقّق خفض السنة السجنية بشكل دائم وظيفة العقوبة؟

يفترض ان تكون عقوبة السجن بمثابة تدبير قانوني تجاه الفعل الجرمي. وتهدف قوانين العقوبات الجزائية إلى الردع - خاصاً أو عاماً - وحماية المجتمع وإعادة التاهيل. هدف تحقيق الردع الخاص عدم تكرار الفاعل الفعل الجرمي، فيما هدف الردع العام إعطاء أمثولة للآخرين لردعهم عن ارتكاب الجرائم. ويفترض ان يكون للردع أثر مهم في الحد من تكرار الجريمة.

أما هدف حماية المجتمع فيتحقق لدى حجز حرية مرتكبي الجرائم، وابعادهم عن ضحاياهم المحتملين في حال تكرار الجرم. فيما إعادة التاهيل هي ما يفترض أن العقوبة تهدف اليه سعياً الى إعادة اندماج المرتكب في المجتمع بعد اصلاح سلوكه الجنائي. فإذا ما أقدم المجرم على ارتكاب جريمة وتم خفض السنة السجنية إلى ستة أشهر، فقد يعيد ارتكاب الجريمة نفسها من دون أي رادع حقيقي ما دام الرادع الوحيد أصبح من دون جدوى نتيجة تكرار الجريمة.

لكن ماذا عن استنسابية القاضي؟ هل القاضي ملتزم بحكم الحد الأدنى من العقوبة على السجين؟ إذا ارتكب المجرم جريمة يعاقب عليها بين 5 و10 سنوات، فإن للقاضي الحق بإنزال عقوبة العشر سنوات. يعني ذلك إبقاء مدة العقوبة ذاتها كما قبل خفض السنة السجنية.

قد يكون خفض السنة السجنية الحل الافضل لمشكلة السجون نظراً للازمة التي يمر بها البلد. لكن هل يبقى ملائماً بعد انقضائها؟

موقوفون في انتظار الحكم

يفوق عدد السجناء المحتجزين في لبنان الحدّ الأقصى للاستيعاب العددي الإداري للسجون. ولا شك أن للاكتظاظ أثراً سلبياً على أوضاع السجون اليوم، مع ارتفاع عدد السجناء وصعوبة تأمين الأساسيات من مواد غذائية وغيرها. في وقت يبلغ عدد المحتجزين في سجون الدولة حوالي 9000، 21% منهم محكومون و79% منهم لم تصدر بعد أحكام قضائية في كل القضايا المتعلقة بهم. هؤلاء موقوفون في انتظار البت بكل دعاواهم، وقد تتم تبرئتهم أو ادانتهم. وفي كلتا الحالتين، غالباً ما يقضي الموقوف داخل السجن فترة زمنية تتخطى المدة القصوى المنصوص عليها في قانون العقوبات بحسب فعله الجرمي.

يبلغ عدد المحتجزين داخل سجون الدولة حوالي 9000 نحو 21% منهم محكومون و79% منهم لم تصدر في حقهم احكام قضائية بعد

كيف ذلك؟

بحسب القانون يبقى المتهم موقوفاً منذ جلسة ختام المحاكمة حتى صدور الحكم (المادة 243 من قانون أصول المحاكمات الجزائية). يعني ذلك ان القانون يلزم بتوقيف المدعى عليه والاستمرار بتوقيفه إلى أن يصدر الحكم بحقه. علماً أن الحكم يتم اصداره في اليوم عينه من ختام المحكمة أو في مهلة اقصاها عشرة أيام (المادة 272 من قانون أصول المحاكمات الجزائية). إلا أن المدة التي تم ذكرها لا تطبق لأسباب نجهلها وقد تتخطى الأشهر لا بل السنة من دون اصدار الحكم.

وفي سياق بت المحاكمة، إذا ألقي القبض على شخص بتهمة ارتكابه جنحة مشهودة تستوجب عقوبة الحبس يدّعى على المشتبه به ويُحال إلى القاضي المنفرد ليحاكم أمامه في الحال أو في اليوم التالي (المادة 153 من قانون أصول محاكمات الجزائية). الالتزام بالمدة المحددة في المادة 272 و153 من قانون أصول المحاكمات الجزائية وإصدار الحكم قد يساعدان في خفض عدد السجناء. علماً أن مشكلة عدم البت في الأحكام ليست وليدة الاعتكاف القضائي اليوم، إذ يعاني القضاء منذ ما قبل عام 2019، وازدادت معاناته بعد جائحة كورونا وتفاقم الأزمات الاقتصادية والسياسية والمعيشية، إضافة إلى غياب المكننة ونقص عدد القضاة.

معتكفون عن إخلاء السبيل؟

احتجاجاً على عدم زيادة رواتبهم، أعلن القضاة الإضراب الشامل بعدما باتت كلفة حضورهم إلى المحاكم تفوق رواتبهم، شأنهم شأن كل الموظفين العامين. ولكن، رغم الاعتكاف، لا يزال إعطاء القاضي إشارة التوقيف عبر قائماً، فيما يعتبر القاضي نفسه معتكفاً عن النظر في طلب اخلاء السبيل. ويتقدم المدعى عليه أو وكيله بطلب إخلاء السبيل إلى قاضي التحقيق قبل صدور القرار الظنّي، أي أن لا مدة محددة لتقديم الطلب. ويجوز للقاضي اخلاء سبيل المتهم شرط أن يتضمن الطلب كفالة (المادة 114 والمادة 115 من قانون أصول المحاكمات الجزائية). وإذا لم يتقدم المدعى عليه أو وكيله بطلب، يخلي سبيله بحكم القانون في حالات معينة كالجريمة من نوع الجنحة التي لا تتجاوز عقوبتها الحبس مدة سنتين، ويخلي سبيله بعد خمسة أيام على توقيفه، شرط الا يكون قد حكم عليه سابقاً بعقوبة جرم شائن او بعقوبة الحبس مدة سنة على الأقل (مادة 113 من قانون أصول المحاكمات الجزائية).

وإذا لم يحكم المدعى عليه سابقاً بعقوبة مدتها سنة على الأقل، لا تتعدى مدة التوقيف شهرين في الجنحة. أما الجناية (ما خلا جنايات القتل والمخدرات والاعتداء على أمن الدولة والجنايات ذات الخطر الشامل وجرائم الارهاب وحالة الموقوف المحكوم عليه سابقاً بعقوبة جنائية)، فلا يجوز ان تتعدى مدة التوقيف فيها ستة أشهر، يمكن تجديدها لمرة واحدة بقرار معلل. كما أن لقاضي التحقيق ان يقرر منع المدعى عليه من السفر مدة لا تتجاوز الشهرين في الجنحة، والسنة في الجناية، من تاريخ اخلاء سبيله (مادة 108 من قانون أصول المحاكمات الجزائية).

للقاضي الجزائي استنسابية واسعة في إطار المحاكمة والتوقيف واخلاء السبيل نظراً لخطورة الجرائم (من قتل وترويج مخدرات وغيرها) على سلامة المجتمع وأمنه. كما أجاز قانون العقوبات للقاضي تشديد العقوبة بحق المدعى عليه أو تخفيفها.

ولكن، رغم الاعتكاف القضائي لا يزال التوقيف مستمراً، فيما النظر في طلبات إخلاء السبيل غير وارد. قد يكون قرار عدم تخلية سبيل متهم بجريمة قتل أو تعاطي مخدرات مبرراً خوفاً من هروبه أو لحماية المجتمع منه وما قد يشكله من خطر نتيجة الفعل الجرمي. ولكن، هل يمكن عدّ السرقة أو الجرائم المالية والإيذاء أو القتل غير المقصود (كإساءة الائتمان والشبك دون رصيد والإيذاء والقتل الناتج عن حادث سير مثلاً) بنفس خطورة القتل عمداً أو قصداً وتجارة المخدرات؟ الا يمكن النظر في إخلاء السبيل لمثل تلك الجرائم لتخفيف العبء عن السجون؟

العفو بين العام والخاص

في كل مقابلة أجرتها «القوس» مع محكومين أو موقوفين، كما مع أهاليهم، تتردد العبارة نفسها على كل الألسن: «لا حل إلا بالعفو العام». يتطلب العفو العام دراسة دقيقة وشاملة، وقبل ذلك الإجابة على السؤال الأهم: هل هو فعلاً الحل؟

يحذر القاضي المتقاعد رئيس غرفة محكمة التمييز سابقاً جوزيف سماحة من خطورة إقرار عفو عام شامل لجميع الجرائم لأنه قد يشكل تهديد للأمن والسلامة العامة. فالعفو العام الذي لا تتم دراسته ومناقشته ويشمل كل الجرائم «في غاية الخطورة على المجتمع الذي سيشهد ارتفاع نسبة ارتكاب الجرائم في بلد يعاني من ازمة اقتصادية ومعيشية صعبة». بالنسبة لسماحة، إصدار مراسيم عفو خاص لحالات معينة هو الحل الأنسب عوضاً عن العفو العام. أما بالنسبة للسجن الذي يفترض أن يعيد تاهيل السجين، فهو بعيد كل البعد عن هدف العقوبة الأسمى وهي إعادة التاهيل. ويوضح سماحة أن عدم تقسيم السجناء بحسب فعلهم الجرمي يعيق مبدأ إعادة التاهيل، «وإذا ما في محل بالسجن لتقسيم السجناء حسب فعلهم الجرمي، فلتستملك الدولة أو تصادر أملاكاً لتخصيصها كسجون مع مراعاة القوانين والمعايير اللازمة. لا يجوز أن يكون من سرق ومن وزّر ومن قتل ومن تاجر بالمخدرات في الغرفة نفسها». كما أشاد سماحة بدور القاضي الجزائي لتخفيف التوقيف الاحتياطي حسب الجرم، أي عدم التوقيف الاحتياطي للمتهمين في الجرائم المالية والقتل والايذاء غير المقصود الناتج مثلاً عن حوادث السير.

قضاة تفتيش السجون

لا يقتصر دور القضاء على الحكم على المجرم وسجنه فحسب. فالسجن هو مكان تنفيذ العقوبة ويفترض أن يتناسب مع الشروط القانونية والمعايير الدولية. وللقضاء دور في مراقبة جميع سجون الدولة في ما يتعلق بقانونية التوقيف واخلاء السبيل. ويمكن للقضاء عند زيارتهم السجون ان يطلبوا الاطلاع على سجل المسجونين وسجل المحكومين. كما يتفقد قاضي التحقيق مرة واحدة في الشهر ورؤساء المحاكم الجزائية مرة واحدة كل ثلاثة أشهر على الأقل الاشخاص الموجودين في محال التوقيف والسجون بحسب مرسوم تنظيم السجون رقم 14310/49 مادة 15. ويتفقّد كل من النائب العام الاستئنافي أو المالي وقاضي التحقيق والقاضي المنفرد الجزائي مرة واحدة في الشهر الأشخاص الموجودين في أماكن التوقيف والسجون التابعة لدوائرهم بحسب قانون الأصول المحاكمات الجزائية مادة 402.

(سجن جب جنين ـ هيلم الموسوي)

(سجن رومية ـ هيلم الموسوي)

20 عفواً عاماً

صدر في لبنان 14 قانون عفو عام عن مختلف الجنح والجنايات وقوانين عفو عام تشمل مخالفات (نذكر بعضاً منها):

■ عام 1946/12/03: صدر قانون العفو العام المتعلق بمخالفات السير قبل 1946/10/01.

■عام 1948/11/23: صدر قانون العفو العام المتعلق بمخالفات السير قبل1948/06/22.

■عام 1948/12/02: صدر قانون العفو العام المتعلق بمخالفة أنظمة الميرة قبل 1945/08/18.

■عام 1949/10/19: صدر قانون العفو العام عن الجرائم المرتكبة ما قبل 1941/09/21.

■عام 1951/08/31: صدر قانون العفو العام عن المخالفات والجنح غير الشائنة المرتكبة والناشئة عن أسباب انتخابية بين 1951/03/15 و1951/04/30.

■عام 1954/02/23: صدر قانون العفو العام عن بعض الجرائم المرتكبة قبل إنشاء المحاكم العسكرية اللبنانية.

■عام 1958/12/24: صدر قانون العفو العام عن بعض الجرائم منها جنح والمخالفات المرتكبة قبل 1958/10/15.

■عام 1965/06/24: صدر قانون العفو العام رقم 37 عن جرائم المطبوعات المرتكبة قبل 1965/05/06.

■عام 1965/11/16: صدر قانون العفو العام رقم 57 عن جرائم المطبوعات قبل 1965/10/28.

■عام 1968/12/14: صدر قانون العفو العام رقم 32 عن المخالفات المتعلقة بقانون العمل قبل 1968/05/01.

■عام 1968/12/30: صدر قانون العفو العام رقم 34 عن جرائم المطبوعات المرتكبة قبل 1967/12/31.

■عام 1969/02/17: صدر قانون العفو العام رقم 8 عن المخالفات وبعض جرائم الجنح المرتكبة قبل عام 1967/1/1.

■عام 1969/04/24: صدر قانون العفو العام رقم 14 عن جرائم المطبوعات المرتكبة قبل 1969/04/01.

■عام 1970/12/11: صدر قانون العفو العام رقم 15 عن جرائم المطبوعات المرتكبة قبل 1970/11/17.

■عام 1974/05/15: صدر قانون العفو العام رقم 7888 عن مخالفات السير قبل 1974/01/01.

■عام 1978/04/24: صدر قانون العفو العام 1 رقم 14 عن مخالفات أحكام قانون الضمان الاجتماعي قبل 1978/01/01.

■عام 1991/08/26: صدر قانون العفو العام رقم 84 عن الجرائم المرتكبة قبل 1991/03/28.

■عام 1997/12/29: صدر قانون العفو العام رقم 666 عن جرائم المخدرات المرتكبة قبل 1995/12/31.

■عام 2005/07/19: صدر قانون العفو العام رقم 677 عن سمير جعجع.

■عام 2005/07/19: صدر قانون العفو العام رقم 678 عن أحداث الضنية ومجدل عنجر.

«الأسوارة»

لضمان عدم هروب الموقوف المخلى سبيله، لماذا لا يتم وضع أجهزة تعقب شخصية على اليد أو القدم؟ عند تخلية سبيل المدعي عليه يرتدي جهاز تعقب على شكل «اسوارة» تجعل إمكانية تواريه عن الأنظار غير ممكنة. وللقاضي ربط اخلاء سبيله مع ضمانة عدم الهروب أو صعوبة الإقدام على الهروب عبر تحديد محل اقامته ضمن نطاق جغرافي معين. وعند محاولة خلع الأسواره أو الخروج من المنطقة المحدد للإقامة يرسل الجهاز إنذاراً لقوى انفاذ القانون للتحرك وإلقاء القبض عليه. قد تكون تكلفة أجهزة المراقبة باهظة لكن هل الإصرار على عدم تخلية سبيل الموقوفين خوفاً من هروبهم الذين يشكلون عبئاً على السجون نتيجة عددهم الهائل لا يشكل ضغطاً على الدولة من ناحية التكاليف المادية؟

ماهي الدعاوى التي يحق لكل من الطرفين التقدم بها امام المحاكم الشرعية والروحية

الزوج

اطاعة ومساكنة

هي دعوى يقيمها الزوج حال خروج زوجته من المنزل الزوجي طالبا من المحكمة الزام زوجته بمساكنته في المنزل الزوجي، فإذا صدر الحكم لمصلحته وثبت خروج الزوجة من المنزل الزوجي من دون سبب شرعي ورفضها مساكنة زوجها، حينها تعتبر ناشزا شرعا ويسقط حقها بالنفقة فقط ، ولا يمكن الزامها بالعودة إلى منزلها الزوجي بالقوة كما يظن البعض

الطلاق

في المذهبين السني والشيعي هو وضع حد لعقد الزواج يتم بإرادة منفردة هي إرادة الرجل، واستثناء للزوجة الحق في تطليق نفسها إذا اشترطت ذلك في العقد وهو ما يعرف بالعصمة عند السنة. اما عند الشيعة فيأخذ الشرط صورة التوكيل للمرأة بالطلاق من قبل الزوج
لدى طائفة الموحّدين الدروز: لا ينحلّ عقد الزواج إلا بحكم قاضي المذهب.

الزوجة

نفقة العدة

لدى الطائفتين السنيّة والشيعية، تكون النفقة مستحقّة خلال فترة العدّة الشرعية في حال كان الطلاق رجعيا، إلا إذا حصل الطلاق بعد اعتبار المرأة ناشزا.
لا وجود للطلاق الرجعي لدى طائفة الموحّدين الدروز.

دعوى المطالبة بالمهر المؤجل

إن مؤخر الصداق هو دين في ذمة الزوج يتم تأجيله و دفعه في أقرب الاجلين: الموت أو الطلاق.
وبالتالي يحق للزوجة، في حال تحقق اي من الاجلين، التقدم بدعوى المطالبة بمؤخر الصداق او المهر المؤجل بوجه الرجل اذا كان على قيد الحياة او بوجه ورثته في حال الوفاة

المخالعة

طلاق الخلع عبارة عن طلاق بفدية من الزوجة الكارهة لزوجها، والفدية تكون بمقدار المهر او اقل او اكثر منه، فإذا كانت الزوجة في وضع لم يعد يطاق في حياتها الزوجية تلجأ إلى التنازل عن كل حقوقها وتبرئ الزوج منها، فتتنازل عن المعجل والمؤجل والنفقة

نفقة الزوجة

دعوى تقدمها الزوجة على الزوج في حال توقفه عن واجب الانفاق عليها ويشمل الانفاق الطعام، الملبس، الطبابة، الإقامة، وكل ما يلزم لتعيش الزوجة عيشة كريمة ولائقة. عندما يمتنع الزوج المحكوم بالنفقة عن سدادها، يمكن استصدار قرار حبس بحقّه من دائرة التنفيذ، أو حجز ما يملك إذا كان لديه ممتلكات

نفقة الاولاد

نفقة الأولاد واجبةٌ على الأب، ويجب أن تشمل المأكل، والمشرب، والمسكن، والملبس، والتعليم، وكلّ ما يحتاجه الأطفال، ويُقدّر مقدارها بالمعروف، مع مراعاة حال الأب؛ فإن كان غنيًا، تكون مقدار النّفقة على قدر غناه، وإن كان فقيرا أو متوسّط الحال؛ فمقدارها على حسب حاله أيضا

مشترك

التفريق

هي دعوى تُقدّم من أحد الزوجين يطلب فيها التفريق بسبب الضرر الناشئ عن الشقاق والنزاع أو سوء العشرة، كالضرب والسب والإكراه على محرّم او الغيبة
ويصدر بنتيجتها الطلاق عن المحكمة بعد تعيين حكمين لمحاولة التوفيق بين الزوجين. عند الشيعة لا يصلح التفريق الا باتفاق الطرفين، انما يمكن للزوجة اللجوء الى طلاق الحاكم، وهو طلاق يقع بدون رضى الزوج بسبب الهجر او العجز الجنسي او العنف أو عدم الانفاق

بطلان الزواج (عند المسيحيين)

يُبطل الزواج في حال عُقد مع وجود مانع مُبطل لم يُفصح عنه، أو تلازم انعقاده مع ظروف ومعطيات سابقة للزواج تجعله باطلاً كأنّه لم يكن

الحضانة

هي دعوى تقدم بالتزامن مع دعوى الطلاق بهدف الاستحصال على قرار يحدد من الحاضن القانوني للاطفال وفقا للاحكام القانونية
الطوائف الكاثوليكية: سنّ الحضانة المعمول بها هي سنّ الرضاعة، أي سنتان؛ على أنه يكون للمحكمة الروحية السلطة الاستنسابية في تقرير الحاضن وفقا لما تقتضيه مصلحة القاصر.
طائفة الروم الأرثوذكس: سن الحضانة 14 سنة للذكر، 15 سنة للأنثى.
طائفة الأرمن الأرثوذكس: 7 للذكر، 9 للأنثى.
كذلك الأمر لدى كل من طائفتي السريان الأرثوذكس والأشوريين.
الطائفة الإنجيلية: 12 للذكر والأنثى.
الكاثوليك: سنتان للذكور والاناث
المذهب السني: 12 للذكور والاناث
الطائفة الشيعية: سنتان للولد و7 للبنت
الموحدون الدروز: 12 للذكور و14 للاناث

منع السفر

هواجراء تطالب به الزوجة لمنع مغادرة الزوج الاراضي اللبنانية في حال تخلفه عن دفع النفقة، وقد يطالب به احد الابوين لمنع اخراج الاولاد في سن الحضانة من البلاد حفاظا على حقه برؤيتهم

الهجر (عند المسيحيين)

هو تدبير يستقل من خلاله كلّ من الزوجين عن الآخر في المسكن، مع إبقاء الوثاق قائما بحيث لا يمكن لأحد منهما عقد زواج جديد، كما يمكن أن يكون الهجر موقتا أو دائما.
يكون الهجر دائما في حال الخيانة الزوجيّة لدى الطوائف الكاثوليكيّة فقط.
يكون الهجر موقتا لدى باقي الطوائف المسيحيّة، عند توافر أحد الأسباب

فسخ الزواج (عند المسيحيين)

يكون عقد الزواج صحيحا في الأصل، لكنّه يُفسخ إذا طرأت بعد انعقاده أسباب يحدّدها القانون تبرّر إعلان فسخه

اسقاط حضانة

تسقط حضانة الام لاطفالها عند بلوغهم السن المقررة حسب المذاهب كما تسقط حضانتها في حال الزواج عند بعض الطوائف ويمكن لأي من الابوين التقدم بدعوى اسقاط الحضانة في حال اثبات عدم اهلية الحاضن القانونية والاخلاقية

دعوى المشاهدة (حق الرؤية)

طلب يقدم من أحد الوالدين لرؤية واصطحاب الطفل الذي لا يكون في حضانته في حال عدم توصّل الزوجين إلى اتفاق حبي بشأن تنظيم مشاهدة الأطفال، أو لدى منع طرف لآخر من حق المشاهدة

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 al_qaous alqaous
info@alqaous.com www.alqaous.com
01/34 99 54